# الانابيب المتشابكة

**يتحتم** علي ، وانا اعالج الفقر في دنيا العرب ان اميز بين البلاد والسكان ، بين الشرق العربي و بين سكان العرب ، فاقول دونما خوف او وجل : ان الشرق العربي لا يعرف الفقر ، وان الفقر متفش بين العرب سكان الشرق العربي ، اقصد بذلك ان الشرق العربي ليس فقيراً فهو من اغنى بقاع الدنيا ، واذا كان المجتمع العربي فقيراً فان الذنب ليس ذنب المكان ... ولكن ذنب السكان .

دلوني على بقعة في العالم تتوفر فيها انهر النيل ودجلة الفرات ، وتربة وادي النيل والهلال الخصيب ، ومنابع النفط في سوريا والعراق والجزيرة العربية ومناجم الذهب في الحجاز واليمن ، دلوني على بقعة تتوفر فيها مصايف لبنان ومشاتي القاهرة واسوان وآثار بعلبك وبابل والفراعنة ، والآثار العربية الاسلامية . دلوني على بقعة هي ملتقى الطرق بين ثلاث قارات وهي محطة المواصلات الجوية والبحرية والبرية .

ان الشرق العربي غني جداً بتربته ومناخه وامكانيته فاذا كان اهله فقراء ـ وهم كذلك ويا للاسف ـ فان ثمة عوامل سببت هذا البؤس ويحسن بنا ان نتحراها وان نعالجها ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

يرجع هذا الفقر الى الاسباب التالية: ١ـ التقصير في استغلال ثروة البلاد الدفينة بشكل فني حديث. ٢ـ التقصير في اعداد الناشئة العربية للحياة العملية الجدية ٣ ـ التقصير بالعناية بالطبقات الكادحة العاملة التي لا تجد من الرفاه الاجتماعي ما تلقاه مثيلاتها في اقطار الغرب .

حينما اتخيل الثروة في دنيا العرب يتبادر الى ذهني مختبر الكيمياء حين كنت طالباً فهناك انابيب عديدة من زجاج تحتوي على سوائل ولكنها كلها مركزة على قواعد من خشب وليس بينها اتصال فتجد انبوباً مملوءاً وآخر نصف مملوء وثالثاً ربع مملوء ورابعاً فاضياً .

وفي الجانب الآخر من المعمل كنت ارى انابيب عديدة يتصل الواحد منها بالآخر وكنت ارى السوائل في هذه الانابيب بارتفاع واحد فاذا اضفت كمية الى احد هذه الانابيب توزعت حالا بين سائر الانابيب .

الصورة الاولى للانابيب غير المتصلة تمثل شرقنا العربي والصورة الثانية للانابيب المتصلة تمثل الاقطار التي يسود فيها العدل الاجتماعي وتنشأ فيه الطبقة الوسطى وتؤلف هذه الطبقة الكثرة الساحقة من المجتمع حيث لا قمم شاهقة ولا اودية سحيقة .

وكلمة اخيرة لا بد منها وهي اننا في مكافحة الفقر نطلب كل شيء من الحكومة وهذا خطأ فان المؤسسات الاجتماعية الشعبية في الاقطار الغربية تحمل عن الدولة قسماً غير يسير من هذا العبء . ان التعليم في اميركا وانكلترا يكاد يكون من عمل الجماعات والبلديات . ان المستشفيات والملاجيء والمصحات تكاد تكون كلها من اعمال جمعيات البر والاحسان . هل يستطيع كل عربي وعربية ان يختلي الى نفسه ويتساءل بحق عما قدمه ـ سواء اكان غنياً ام فقيراً ـ من خدمة للمجتمع في هذا العام . اعتقد لو انه ادى كل منا بنصيبه في حقل الخدمة الاجتماعية لخطونا خطوات واسعة ـ الى جانب اعمال الدولة ـ في مكافحة الفقر .

والحقيقة انه لن ينتظم لنا مجتمع ولن نكافح فقراً ولا جهلا ولا مرضاً ما لم ناخذ برأي حكيم المعرة ابي العلاء الذي رفض الغيث اذا لم يكن شاملا للجميع فقال رحمه الله !

فلا هطلت علي ولا بارضي    سحائب ليس تنتظم البلادا

عبدالله المشنوق

# الطريق الى المعتقل

من ايام الرعب

بقلم يوسف الشاروني

**كنا** على اهبة الاستعداد ؛ ولما انحنت علي امي لتودعني بقبلة ، لمحت بعينيها شبكة من الاقنية الدقيقة القاتمة الحمراء ، فاسلمت لها وجهي وانا احس بمذاق القبلة الباهتة على جبهتي . ثم مضيت اتبع والدي ، وكل منا يحمل حقيبة مثقلة متآكلة كأنها حقد قديم .

وامام الباب وقفنا ننتظر ؛ وكانت عيوننا تمتد الى نهاية الطريق المتعرج كأنما نستعجل قدوم السيارة المقبلة ، وهي ما تنفك ترتفع وتنخفض مع ارتفاع الطريق وانخفاضه . وامامها – وعلى بعد متر واحد – كان ثمة طفل قد رفع يديه وجعل يعدو كأنما يفسح لها الطريق او كأنما يشدها نحوه بخيط رقيق خفي . فلما وقفت نزل منها سائق عملاق قد لوحته الشمس ، ثم فتح لنا في انحناءة باب السيارة الخلفي . ونظرت الى والدي اتهيب الدخول الى مثل هذا المكان ، او كأنما أتهيب ما ازمعنا عليه من امر . ثم انحنى والدي حتى كون ما يشبه القوس المتعرج ودفع امامه حقيبته ، ثم انحنيت من خلفه ووضعت قدماً داخل السيارة ورفعت الاخرى ، فلما ارقدت حقيبتي بارض السيارة ادخلت قدمي الاخرى . وحين استوينا على المقعد المبطن المهلهل دفع الطفل وراءنا باب السيارة في عنف . ثم تقدمت السيارة الى الامام قليلا ، ثم كأنما عادت فعدلت فجأة عن امر ما فتقهقرت بشدة الى الوراء حتى لقد ارتطمت ذقننا بحافة المقعد الامامي . وكان السائق قد استقر عليه ، فجعلت اتأمل الان رأسه السوداء المنحنية امامي في الفراغ .

وربما لم يحدث منذ سنوات ان اختليت بوالدي مثل هذه الخلوة ؛ كان كل منا مأخوذاً بمشاغله ، مندفعا مع جيله ، لا يكاد يجد وقتا يهبه للآخر . اما الان فقد كانت قسوة الحديث ، ووحدة الطريق تربط بيننا ، وقد فصلنا عن السائرين والعابرين باب انصفق في عنف ، وقلقلة السيارة المترنحة وهي ما تزال تدفع احدنا لصق الاخر بشدة ثم تعود تفصلنا لتلصقنا من جديد ، وثمة رأس شبحية هلامية قد استقرت في عيوننا .

وقد بدا لي في اول الامر ان هناك مجرد اصرار مجهول يشوب هذه الرأس السوداء ، ثم فجاة فغرت في . فقد كانت اذن السائق اليمنى – ومن نهايتها السفلى تماما – تقطر دما ، وكأنما هناك قطعة صغيرة من اللحم قد انتزعت حديثا بلا رحمة . والتفت الى والدي لاريه كيف تذوب الاذن الكبيرة المائلة امامنا ، وكيف ينسكب منها الدم كأنما يسقط من هاوية ولكن والدي كان جالساً مطمئناً وقد عبر بنبراته الى ما وراء الرأس وما وراء الذين في الطريق يعبرون الخطر امام زجاج السيارة . وكانت الاذن تذوب ، شيئاً فشيئا ، وقد امسك السائق عجلة القيادة بكلتا يديه ، وابي كأنما لا ينظر في شيء ، وانا لا استطيع ان اشيع الاضطراب في التسلسل اللامتناهي للأفكار المتداعية عليه . وكان السائق قد رفع الان يده اليمنى يتلمس اذنه حيث يقطر الدم ووضع هناك كفه لحظة او بعض اللحظة فلما اطمأن الى تلوثها عاد يضعها امام عينيه كأنما يبحث فيها عن شيء ، ثم نفخ فاتسعت النقطة وتناثرت على اجزاء الكف ، ثم عاد يضغطها في العجلة التي امامه .

وقلبت في جيبي بحثا عن منديل ، فلعل المنديل يكون ضماداً مؤقتا ، ولكنني ادركت انني قد نسيت كل المناديل على المنضدة بالمنزل حيث اعدتها لي امي قبل خروجي . وكان ثمة منديل يشوبه اصفرار ، ويطل باحدى زواياه من جيب والدي ، لكنني خشيت ان اسحبه فاقطع الصمت الضروري المتصل بيننا ، فآثرت الانكماش والانتظار . وكان الدم قد اخذ يتلكأ الآن حول نهاية الاذن المقضومة ، ويتكاثف ويقتم ، ثم يتجمع من نقطة كبيرة تسقط على مهل في الفراغ . وفجأة مال علي والدي وهمس قائلا : لقد اقتربنا . ولمحت التجاعيد المرتسمة على وجهه كأنما اراها في مجهار ، وقطنتين من العرق توشكان على السقوط من جبهته ، ومن خلفنا كانت الابنية ترتفع ، والطريق تتسع ، والعابرون يندفعون كأنهم قطيع مجفل متفرق بلاراع . وكان



واضحاً ان السائق الاسمر يبحث الآن عن مكان ملائم يقف فيه بسيارته . وفجأة – وبلا توقع – وقفت السيارة كانما على غير ارادة من سائقها . وانفتح الباب ودفعني والدي امامه الى الخارج ، فنزلت احمل حقيبتي ، ومن خلفي ابي وهو يجر حقيبته على ارض السيارة . واطل السائق من مقعده ، وبسط كفه يقبض فيها الاجر ، ثم صفق باب سيارته الخلفي بشدة ، وغاب عن انظارنا . وكان الضحى ، اذ ذاك قد ارتفع .

***

**وارتقينا** الدرج، ودلفنا بين الاعمدة الكثيرة المنتصبة، وعرج والدي جهة النافذة الضيقة الحديدية ، وامتصته الزحمة التي امامها ثم عادت فافرزته وهو يحمل معه تذكرتين. وسمعنا صفير قطار ، ونفذنا من باب ثم من باب ، ثم انخفضنا في دهليز مستطيل رطب ، ثم عدنا فارتفعنا على سطح الارض ، ونفذنا من باب ثم من آخر ، وشاهدت الرصيف يطفو بالحمالين والحقائب والباعة والمتعانقين وبالاطفال والسيدات ، وقد ازدحم القطار بحيث بدا كأنما عزم نهائياً الا يزدرد آخر ، واحتشدت في نوافذه وممراته وابوابه رؤوس وايدي ومجموعة من المناديل المترنحة القذرة، وبدا بعرباته الست الضيقة المنخفضة ونوافذه الكثيرة المتعددة وسطحه المقوس كانما هو سلسلة فقرية لحيوان جيولوجي هائل بائد ، قد علاها فجأة جيش كبير من النحل لسبب ما .

واقتربنا من احد الابواب وقد احتشدت فيه مجموعة من الاجساد المنضغطة المستطيلة تدلت منها اقدامها واذرعتها . وكان لا بد من ايجاد مكان ما ، فالقطار ما ينفك يطلق صفيره كانما يوهم الراحلين في كل لحظة بانه على وشك التحرك . وقد تقلقل عن مكانه قليلا فشاع ما يشبه التفهم بين المحتشدين على الرصيف وبين الاذرع المتشابكة بالنوافذ ، لكنه عاد فوقف . وشقت الحقيبة طريقها بين الاجساد المتلصقة اللزجة ومن خلفها والدي ، وكنت اود لو اعود الآن لحظة لاعرف ما تم من امر السائق واذنه ، ولكن يبدو ان تفكيري ذلك قد جاء متأخراً جداً ، فما لبث والدي ان جذبني معه الى الداخل ، ثم شق لنا طريقاً من خلال الاذرع والارجل حتى وجدنا لاقدامنا مكاناً داخل العربة . ثم صفر القطار صفيراً متقطعاً ثم آخر متصلا رفيعاً ، وامتلأت السماء بالدخان الاسود المتناثر ، ثم شاعت القلقلة بين العربات من جديد، واستأنفت العجلات دويها.

ويبدو انه كان من الزحمة شيء من الوهم ، فما تفرسنا في الغربة بحثاً عن مكان بين الاجساد المتناثرة حتى وجدنا مقعداً يسع شخصين امام رجل وسيدة وصبي في الثامنة او التاسعة يبدو انه طفلها . فجلسنا ووضعنا الحقيبتين بيننا ، حيث لم يكن ثمت مكان آخر . وكان يبدو ان الرجل في نحو الاربعين ، أشيب الشعر ، لا يفتأ يتمخط بين حين وآخر . وفي هندامه شيء من عدم الاكتراث ؛ واما السيدة فكانت اصغر منه قليلا، على شيء من الملاحة ، ولكن انفها كان طويلا جداً ، وعجيزتها ضخمة للغاية . وكنت لا اعرف هل هما في حالة من الهيام او من التعب، فالسيدة ما تنفك تميل برأسها وشعرها على ذقن الرجل وعنقه، والرجل ما ينفك يداعب شعرها باناملة مداعبة هادئة احيانا عنيفة احيانا . اما الطفل فكان في اول مرة مشغولا بالنظر من نافذة القطار ومداعبة الغبار والفراغ ، ثم عاد فاعتدل في جلسته ونظر نحوي وجعل يبتسم . ولم يكن لابتسامته في اول الامر معنى محدود فهي قد تكون رضاء وقد تكون سخرية ، لكن شفتيه استطالتا وعينيه ضاقتا حتى قاربت البسمة ان تكون سخرية . فتحولت بعيني وتلفت الى والدي لارى الاثر المرتسم عليه او عساني اخلق الآن معه حديثا ما

ولكن والدي كان مشغولا بشيء غريب ما توقعته . فقد كان ثمة بقعة كبيرة سوداء قد انطبعت الآن على اسفل جاكتته . وكان من الواضح ان شيئا مما في داخل الحقيبة قد انسكب داخلها وتسرب بعضه منها على ملابسه، وكان الآن منشغلا يمسح في هدوء على هذه البقعة المبتلة بمنديله الباهت الاصفر . وانتشرت رائحة فريدة في المكان ربما كانت رائحة سمك . وخيل للزوجين – بغير حق – انها تنبعث من هذه البقعة المستديرة السوداء . فانقطع ما كان بينهما من هيام ، وبدا على وجهيهما شيء من التأفف والاشمئزاز ، واستطالت من جديد شفتا الطفل وضاقت عيناه .

وتمخط الرجل وانحنى نحوي وهو يقول مشيراً الى الحقيبة: هل بها سمك ؟ فاجبته : سمك ؟ كلا ، ان هذه الرائحة تنبعث من مكان آخر . هذا مجرد خل . فطأطأ رأسه وقال . ولكن ماذا يفعلون بالخل في المعتقل ؟ فقلت له في دهشة ، ولكن كيف عرفت اننا نقصد المعتقل ؟ فاجابني وهو يبسط يديه : كيف ؟ هذا بسيط واضح للغاية ، فانت ترى كل الراكبين من العمال وليس فيه غيركما ممن يرتدون ملابس مغايرة ومعنى هذا انكما

لن تقصدا الميناء الجوي ، ولا يوجد هناك مكان آخر سوى المعتقل . فاجبته مندهشاً : ولكن ماذا عن الزوجات والاطفال الذين كانوا بالرصيف ؟ فتمخط من جديد وقال : هؤلاء كانوا ركاب الدرجة الاولى والثانية ممن يقصدون الى ما بعد المطار والمعتقل . فسألته : ولكنك ايضا لا ترتدي ملابس العمال . فاجاب في شيء من السرعة : انني ذاهب مثلكما الى المعتقل، هناك ابننا خليل ، فتى لا يزيد عن السابعة عشرة ، لا ندري لماذا اعتقلوه . وانتما من تقصدان ؟ فاجبته مطرقا : اخي صالح : آه صالح ، لقد رأيته في الزيارة السابقة لابني ، انه فحل كبير ، لا تكتئب يا ابني سيخرجون من المعتقل اكثر سمنة مما دخلوه . فرفعت رأسي الى الرجل قائلا: يبدو انك ما سمعت عن اضرابهم ، انهم لم يأكلوا منذ عشرة ايام . فاجابني في هدوء : بل سمعت بلا شك ، وانا ذاهب مع امه اليوم لنقنعه بالعدول عن هذا الهوس . فسألته في تردد : ولكن ليس خليل عنيداً ؟ قال : انه عنيد الى حد ما ، ولكننا احضرنا ما يغريه بالعدول عما هو فيه ، انظر هنا في هذه الحقيبة حلوى وكنافة ، وفي تلك لحم وسمك . فصحت في تأنيب : سمك ؟ اذن هذه الرائحة تنبعث من حقيبتكم ؟ فاجاب في طمأنينة : لا ، لا ، لقد لففناه بكثير من الورق ولا يمكن ان تنبعث منه رائحة ما . انها تنبعث من مكان آخر بلا شك . انظر ... ورفع الحقيبة الثقيلة وكاد يدسها في وجهي . وهنا انحنت السيدة بانفها الطويل على ابنها ، واقبل والدي بوجهه ولا يزال يمسح بمنديله على البقعة الكبيرة السوداء وقال : اذن انتما جئتما لزيارة هذا المكان من قبل وتعرفان الطريق ؟ فاجاب الرجل : نعم لقد جئنا من قبل بغير شك ، وسيقف القطار بنا بعد خمس دقائق ثم يمتد طريق رملي صحراوي لمدى نصف ساعة ، حيث تبلغان بوابة المعتقل .

ولقد هدأ بالفعل دوي العجلات قليلا ، فقام والدي يحمل حقيبته المبتلة واندفعت وراءه . لكن المرأة ضحكت ضحكة خافتة، وطلب منا الرجل ان نتريث فالقطار يهدأ هنا بسبب انحناء الخطوط الحديدية ، ولا يزال امامه اربع دقائق كاملة ليقف . ثم اردف قائلا : وسيغادره معظم الراكبين فلا داعي للعجلة . ومع ذلك ظل والدي واقفاً وجلست انا على حافة المقعد متأهبا للقيام وقد بدت ابنية المطار وطائراته الجاثمة من بعيد . ثم عاد القطار يهدأ قليلا قليلا والعمال يقفزون تباعا من ابوابه ونوافذه .

ولم يكن هناك ما يشبه المحطة في شيء ، بل مجرد اعمدة اربعة من الخشب كانها نصب فوق قبور لمجهولين ، ثم رمال وتلال تمتد الى نهاية البصر . وكان ثمة سيارات كبيرة واقفة كانما تنتظر، سرعان ما قفز اليها العمال ، فما مرت لحظات حتى كانت الارض كانما ابتلعتهم جميعاً . وكان واضحاً ان الرجل وطفله وزوجه ذات العجيزة والانف قد قفزوا الى احدى هذه السيارات مع العمال اما نحن فكان علينا ان نقطع بقية الرحلة سيراً على الاقدام في هذه الارض الغريبة وان نستدل بين حين وآخر بانسان هنا او نصب هناك . وقد وقفنا وحيدين امام الرمال المترامية والرحلة المجهولة والفراغ الغامض ، والظهيرة ما ينفك قيظها يعلو ويشتد

***

**وكان** القطار قد ابتعد الآن فكون مايشبه الخط الاسود الغامض في الافق البعيد. ومضى كل منا يحمل حقيبته ونحن نقتفي اثر السيارات المتدحرجة عنا. ولم يكن المكان مقفراً تماماً ، فقد كان هناك ـ وعلى بعد بعيد ـ ما يشبه فرقة عسكرية تقوم بتدريب ما ، كانهم عرائس من الورق يحركهم بخيوطهم يمينا وشمالا اطفال يعبثون . وفيما عدا ذلك فقد كان ثمت قيظ وصمت . وكانت التلال المنخفضة ومسارب السير القصيرة الجافة المترددة كانما تمتد حتى تلتقي نهايات الافق بنهايات الارض وكانما هناك دعاء مرير ينبعث حوالينا من السماء الزرقاء ؛ ومن الارض الفسيحة المنبسطة ؛ ومن الريح التى تهب بين حين وآخر ، غريبة وبلا توقع ، فتثير الحصى والقذى ، ثم تعود وتهمد كانما للابد . كان مكاناً يضطرنا الى العزلة ، وهي عزلة موحشة لا قداسة بها ، فهو يعزلنا حتى عن انفسنا ، وان كان هناك ما يشبه طلائع حوار صامت قد اخذ يترقرق الآن غامضاً هياباً وجلا في نفوسنا . وكان السراب يلوح لنا على بعد فنلتقي هناك، ثم يرتد بصرنا فينحسر عن اثر العجلات ومواطىء الاقدام . وكان لا يبدو لي شيء من امل ، فالطريق ما تنفك تزداد طولا ، والقيظ ما ينفك يشتد اندلاعا ، والصخور من حولنا ما تنفك تزداد قتامة وتوهجاً . وعندما انحنى بنا الطريق لمحنا رجلين يصلحان اسلاك البرق في هذه المنطقة ، فلما اقتربنا منهما صاح احدهما بصوت كالرعد : انهما ذاهبان الى المعتقل بلا شك . فاقترب منهما والدي وقال : حقاً نحن ذاهبان الى ذلك المكان، فهلا تعرفان الطريق ؟ فضحكا معاً كانهما يقومان بدور في مسرحية او جوقة . ثم اشار احدهما الى الافق وصاح : وكيف لا نعرفه؟ ربما كان هناك . فآثرنا الابتعاد وعدنا نستأنف المسير . وكان

الحوار الصامت قد اخذ يتصل الآن بيني و بين والدي ، حوار تتداخل فيه عناصر الصخر والرمل ، والاذن التي تجمدها الدم ، والاخ الراقد في المكان المجهول ، وتفرع الوقت وكآبته . كان بيننا حوار يملأ ثلاثين عاماً وصلت وفصلت ما بين جيل وجيل ونحن نوغل في هذه المنطقة من الوجود ، حتى التقينا بنقطة يتفرع عندها الطريق .

وكنت اذ ذاك قد بلغت قمة من الاعياء ، ودب الضعف الي ، وخيل الي انني لن اصل ابداً ولن اعود . ورأيت في هذا التفرع مايبرر عدولنا عن رحلتنا التي لا تنتهي ، فنظر نحوي والدي وهو يبتسم ، ثم اندفع في احدى الطريقين لا يلوي على شيء . ولوح لي يشجعني فهناك ما يشبه الحياة على مسافة من الطريق . فتحركت من جديد ، وبكارة التجربة تربطنا بغاية واحدة ، ثم تعود تفصل بيننا السنون والرؤى والاساطير . وكنت اود الآن لو اقطع هذا الحوار بكلمة او همسة فأثير الشك في نفس ابي واستعيد منه شيئاً من الايمان ، لكن شيئاً من التهيب كان يدفع الحوار في طريقه فلا تقطعه كلمة ولا همسة . وهكذا اندفعنا نسمع وقع اقدامنا او نجفف العرق ، ويستبدل كل منا حقيبته من يد الى اخرى حتى امتلأت كفه باللزوجة والعرق .

ولاح لنا هيكل لسيارة صغيرة متداعية ، ينحني تحتها رجل قد اخفى نصف جسده هناك كانما يصلح من عجلاتها او يستظل من حرارة هذا القيظ . فلما اقتربنا واصبح لاقدامنا وقع في مسامعه ، زحف برجليه الى الوراء ، ثم رفع رأسه نحونا وانتصب قليلا وهو ينفض يديه مما علق بها من رمل وحصى وفغرت في و مسكت على يد والدي اشدها . فعلى بعد ثلاثة امتار منا كان يقف السائق ذو الاذن المقضومة والذي تركناه خلفنا بالمدينة . وصحت به في دهشة وفرح كيف وصلت ايها الرجل العظيم الى هذا المكان الميت القائظ ، وكيف قطعت هذا الطريق الطويل الشاق بسيارتك تلك ؟ ولم يبد انه استاء من حديثي بل ضحك قائلا : انني احمل كل يوم الوانا من الناس الى مختلف الانحاء ولشتى الاغراض ، وسيارتي سليمة على ما بظاهرها من القدم واني لارى انكما ذاهبان الى المعتقل ، فهلا تفضلان ؟ وانحنى امامنا يفتح باب سيارته لنا ، وانحنينا نحن ودخلنا ، وصفق الباب وراءنا ثم جلس الى عجلة القيادة . وكان الدم قد تجمد الآن حول الاذن ، وكون ما يشبه السواد وسط الجرح ، ولكن بقية الاذن كانت شديد الاحمرار كانما تلتهب .

ومضت بنا السيارة ترتفع وتنخفض ، وتتشابك امام زجاجها المسارب الجافة ونهايات الافق ، وتنتشر على جانبيها قبور لجنود اجانب مجهولين اقبلوا من مشارق الارض ومغاربها ، وانتزعهم نداء العصر من احضان امهاتهم وزوجاتهم ليموتوا في هذه الصحراء المحترقة فلا يعودون . وكانت النباتات الشوكية الرمادية الحادة تفجؤنا بين حين وآخر ثم سرعان ما تختفي وراء كثبان من الرمال لا تنتهي . والريح واللهيب وقلقلة السيارة كانما تأتي الان من عالم متباعد ناء ، والسيارة تشق طريقها في فراغ بريء طاهر يفضي بنا الى نهاية قريبة مرجوة . فها قد لاحت لنا البوابة العظيمة من بعيد ، وهدأت سرعة السيارة قليلا ، وهي تعبر بقايا الطريق الصخري .

لقد اوشكنا على نهاية الرحلة ، وبقيت امامنا المغامرة الاخيرة ؛ فها نحن نغادر السيارة ، وبعد قليل سنعبر هذه السلسة الضخمة الراقدة امام الباب ، ثم نجتاز الممرات الكثيرة المتعددة والقيظ والصخر ، ونلتقي بالاخ العزيز في مكان ما ، ونقبله في عنقه وفي جبهته ثم نبلغه سلام الام ، ونسأله ذلك السؤال الذي لا يجيب عليه احد : لماذا اعتقلوه او من ذا الذي اوعز باعتقاله فلقد القينا هذا السؤال مراراً على انفسنا وعلى الجالسين الى مكاتبهم وعلى العابرين في الطرق ، فلم نحظ بجواب حتى الآن ، ولكننا ما مللناه .

اننا سندخل المعتقل الآن ايها السائق العملاق الاسمر ، فانتظرنا حتى نعود ولا تمل الانتظار ، سنضاعف لك الاجر او نداوي لك اذنك حالما نعود ، وربما حملنا اليك معنا هذه السيدة ذات الانف الطويل والعجيزة الضخمة لتجلس الى جانبك وتداعب بشعرها عنقك . لقد استيقظنا مع الفجر ، واعددنا هذه الحقائب الثقيلة ، وقطعنا طريقاً طويلا شاقاً وحرصنا ان نقبل في الميعاد تماماً ، وها قد اشرفنا على المعتقل ، فرأينا منه اسلاكه الشائكة وجنده المسلحين . فانتظرنا لكي تحمينا من الصخور والرمل ، ومن مخاوف السراب والافق ومن شرور هذا التيه . فنحن بدونك لن نبلغ اخبار الاخ الراقد الى الأم القلقة في المدينة بانتظارنا ولن نجد ما نستر به رأسنا من وهج الشمس ، ولا من يدلنا على المنحنى التالي في الطريق ، ولا من يحمينا من قلق هذا الزمن وكآبته .

**القاهرة** **يوسف الشاروني**

صورة وصفية

# ليلى

بقلم وديع فلسطين

**موهبتها** في أناملها، تعزف الشجي من الالحان، وتضرب على أوتار البيان ضرب مقتدر نابه. ذات شعور مرهف، وذوق أنيق بسليقته، ترى الدنيا كلها قطعة من الموسيقى، فيها الصخاب وفيها الحزين وفيها المراح وفيها المضطرب. وتعامل الناس كما تعامل الاوتار، منهم الابيض الخفيض الصوت، ومنهم الاسود الخشن الطباع، ومنهم درجات لا يحصى عددها تتوسط هذين النقيضين.

« ليلى » شادية من شاديات النيل، لم تكد تتفتح بصيرة الفن فيها، حتى هامت بالموسيقى هيمان البلبل بصوته. فعكفت على « باخ » و « شوبان » و « موتزار » و « توسكانيني » واضرابهم تدرسهم وتحاكيهم وتلعب بأناملها ألحانهم التي اودعوها فتنة العمر، فلما اكتملت ثقافتها الكلاسيكية ابت ان تحصر في مجال ضيق ملكاتها، فسافرت عابرة البحار لتتابع في ارض الحرية سنن الموسيقى، ولتأخذ عن الاميركيين مستحدثاتهم وطرائفهم وطرائقهم. فالموسيقى لغة عالمية لا تنبهم على ذوي الموهبة، صحيح ان لها مذاهب وفلسفات، ولكنها جميعاً تخضع لاسس واحدة وتهدف الى هدف واحد. أساسها هو الابداع في صور شتى متباينة، وهدفها هو الفن في مرئيات وحسيات ومعنويات منوعة.

تجلس « ليلى » الى معزفها، كانما استقرت على عرش مجدها. فهي واثقة من نفسها واثقة من مطاوعة الآلة لها، واثقة من قدرتها على بعث الحياة من هذا الجهاز الصامت الخامد. اناملها تصنع المعجزات، فالخشب الاخرس تنطقه، والوتر المشدود تختلس منه صوتاً موسيقياً، والدرجات المتشابهة تؤلف منها دنيا من الجمال الموسيقي تطرب لها الاذن، ويسرح معها الذهن في خيالات ورؤى، وتترادف المعاني الموسيقية البهية، فالموسيقى اداة للتصوير: تصور العاطفة اذا اختلجت في الاحشاء، وتصور العبرة اذا سالت من العين، وتصور النفس اذا اضطربت دخائلها، وتصور الحياة بشرها وخيرها. والموسيقى اداة للايحاء: توحي للمرء اشتاتاً من المعاني وصنوفاً من الاخيلة، حتى لقد عرفنا كتاباً نابهين لا يحل عليهم الوحي حتى تصدر عن المعزف انغامه الهادئة، وحتى صارت الموسيقى لازمة من لوازم المائدة، وحتى صار الرقص هواية جميلة بمصاحبة الموسيقى، يرتفع بالمشاعر عن الدنيويات ويسمو بالعاطفة عن رابطة الارض، ويهيء للشبيبة منهاجاً للحياة خلت منه العقد النفسية.

تجلس «ليلى» الى صندوق الموسيقى كما يجلس القائد في برج القيادة. هي تأمر جنود الصوت ان يعملوا في اتساق وتجانس، وهو يأمر جنوده ان يكونوا يداً واحدة وان اختلفت فئاتهم. امامها ميدان يجب ان تكتب لها الغلبة فيه، كما ان امام القائد العسكري ميداناً عليه ان يفوز فيه. واذا كانت اخطاء القائد لا تغتفر، فان الفن لا يتسامح مع من يستهين به ويستصغر شأنه. ولذلك اعتادت انامل « ليلى » الصواب دائماً، لا تلحن ولا تخطىء ولا تقع في غير موقعها، لان زلة واحدة من زلات اناملها كفيلة بتنحية الملكة عن عرش فنها.

تجلس « ليلى » الى البيان، فتنسى نفسها وتذكر امراً واحداً هو آذان السامعين المرهفة. وقد اعتادت هذه المواقف بعد ممارسات طويلة، فلم تعد تهيب الجمهور، بل اصبحت تحترمه وتوقره ولم تعد ترهب الآلة الصماء، بل دانت لها طيعة. وجميل من المرء ان ينسى نفسه ولو بعض الوقت، فالانانية غلابة على الكثيرين

منا . وجميل ان تنسى « ليلى » راحتها بعض الوقت لترفه بانغامها عن مئات احتشدوا في القاعة . فهي كالخطيب ، يعييه البحث عن ابكار المعاني ليقدمها للسامعين لقمة سائغة طيبة ؛ وهي كالباحث المجد يلتهم الموسوعات والمعاجم ليستخلص منها زبدة الآراء يطعم بها القارىء العجلان .

ويعجبني في «ليلى » انها اختارت لنفسها منهاجاً مفتقري عليه في الشرق . فالموسيقى عند كثيرين ، رجس حرام على المرء ان يقربه . ويرى آخرون غيرهم في الموسيقى مرادفاً للدنس ، وذلك لافتقار الى تذوق هذا الفن الجميل ولسيطرة المادية على كثير من جوانب الحياة . ولكن ليلى ذات ايمان بفنها ، وذات عقيدة راسخة بالرسالة الجميلة التي ينطوي عليها هذا الفن ، فلا تعبأ بما يقول الناس وبما يرون ، وتسير في طريقها لا تلتفت الى وراء . تعرف ان الذوق تهذبه الموسيقى ، وان الاخلاق تروضها الانغام المشتهاة ، وان الحياة تجملها المعاني المترفعة عن الماديات ، وان الوطنية تذكيها الموسيقى . فنشيد « المانيا فوق الجميع » صار جزءاً من القومية الالمانية لا سبيل الى انتزاعه منها . ونشيد « حفظ الله الملك » بات رمزاً على الولاء للتاج البريطاني . واصبح لكل دولة سلام ملكي او نشيد وطني يعزف في كل سانحة وفي كل احتفال . وصارت الموسيقى فرعاً رسمياً من فروع الحياة في كل دولة عصرية التفكير ، ففي الجيش موسيقاه ، وفي البوليس نافخو البروج وفي الملاجىء فرق للعزف ، وفي المدارس ندوات لهذا الفن الجميل . واذا كان الماضي قد انكر فضل الموسيقى في الشرق ، فان المستقبل سيرد لها مجداً يخلف الهوان ، وتقديراً يمحو الزراية .

ويعجبني في ليلى ان لها رسالة في الحياة ، فما اكثر حاجاتنا الى اصحاب الرسائل المؤمنين بها ، فعلى اكتاف هؤلاء سيكتب للشرق مجده ، لاننا لا نزال نعاني الكثير مما رسب في بلادنا من رواسب ذميمة . ورسالة ليلى هي تجميل الحياة . فالحزين يجد في الموسيقى خير سلوى ، واليائس يجد فيها املا لأن الصوت قد يخفت حتى يكاد يخرس ، ثم يعاوده الارتفاع حتى يوقظ الغافل ، والوحدة تقطعها الموسيقى بمؤانستها حتى صار المذياع من حسنات الحضارة الحديثة لانه رفيق حين ينأى كل رفيق وانيس حين يختم المساء على المدينة بصمته الكئيب . والموسيقى تنعش في النفس الامل ، لان الموسيقى كلها جميلة وكلها عذبة وكلها ذات سمو . ولعلها تبرأ من المذاهب المنهارة التي عرفها الادب والتصوير اخيراً كالسارترية الوجودية والسريالية والمستقبلية وغير ذلك من منتجات التفكير المنحرف

ويعجبني في ليلى انها قد اوتيت الموهبة ، لم تعمل على تنميتها بالاجتهاد الفردي ، بل رأت ان المعاهد خير مكان للدرس والتخصص . فدرست الموسيقى وفقاً لمنهاج جامعي مضن ، وارتضت الغربة لتشبع هذه الهواية الحبيبة الى نفسها ؛ ونحن في عوز الى كثيرين من ذوي المناهج الذين لا ينبتون بين عشية وضحاها كنبات « الفطر » مثلا ، بل ينبتون بعدما تتأصل جذورهم في الارض وبعدما ترتفع قوائمهم على اسس سليمة البنيان صحيحة التكوين . فليلى تدرس الموسيقى كعلم وفن وبحث فضلا عن الهواية الاصيلة . وهي تجتاز فيها الاختبارات كتابية وعملية وشفوية . وهي تحب التعمق والتوسع والشمول حتى لا يرميها احد بقصور في ثقافتها الفنية . وهذا جميل من فتاة بدأت تتخطى العقد الثاني من عمرها .

وثمة مزية اخرى تذكر لليلى وهي انها تدرس وتتخصص لا للتكسب والمتاجرة بل للتضحية والعطاء . فالموسيقى الكلاسيكية لا تزال في هذا الشرق غير مفهومة وليس لها سوق . ودعاة هذه الموسيقى يبشرون في ارض خلت من المؤمنين . وما ليلى الا واحدة من رسل الموسيقى الكلاسيكية الاتباعية ، وهي تعرف سلفاً ان ليس لها مكان في دنيا الموسيقى الشرقية . ولكنها اختارت هذا المنهاج وراق لها هذا المذهب ، وعسير عليها ان تتراجع او تساير موسيقى العصر .

هذه واحدة من بنات النيل يحق ان يباهى بها . لأنها عرفت حقيقة قدرها ، وعرفت حقيقة قدر الفن وعرفت للحياة معنى رفيعاً هي عليه جد حريصة

**القاهرة** **وديع فلسطين**

# أطياف

مهداة الى سعيد تقي الدين

●

... وتمر بي اطيافهنه فتزغرد النجوى لهنّه
سكرى باضواء الجمال النرجسي تضمهنه ،
والروح اسراب ارتعاشات تراود صمتهنه
وتبث ما ينتابها ظمأى الى اكوابهنه ...
والليل في خمارة الحرمان يشرب نخبهنه
مترنحاً ، يومي كأن الشهب رجع وميضهنه !!
والقلب صب مفعم بالوجد ، يرقب فجرهنه
يطفرن من اعماقه ويظل يجهل سرهنه ،
نشوان يهمس .. والصدى ينداح في صمت الدجنه !
فكأنهن براعم الفردوس لاح ربيعهنه
يرفلن بالألق الشذي ويستعدن مراحهنه ،
ينهلن من ذاتي فتشرق بالجمال عيونهنه
وطراوة البث الندي تشيع في اهدابهنه ..
وظلالهن تتيه والأفق البعيد يردهنه
فيعدن رغم ترنح الشكوى على اعطافهنه
يزرعن اهدابي رؤى وسنى واصداء مرنّه ...

**مصطفى محمود**

من أسرة الجبل الملهم

# مسيو بوبل

معركة قلمية في فرنسا تثيرها مسرحية لبنانية

بقلم سهيل ادريس

لم يتح لي ان اقرأ شيئاً من شعر جورج شحاده باللغة الفرنسية ، ولكنني استطيع ان احكم بانه شاعر موهوب بعد ان شاهدت على مسرح « لاهيشات » في باريس تمثيليته الرائعة «مسيو بوبل Monsieur Bob'le» * فهذه المسرحية تنبع من أعماق نفس مرهفة الحس قوية النبض خليقة بان تدفق من الشعرة اروعه واوفره عذوبة .

ولاذكر قبل كل شيء ان هذه المسرحية التي لا تزال تمثل في اصغر مسرح بباريس «فمسرح لاهيشات لا يتسع لاكثر من خمسة وستين مشاهداً...» هي الآن موضوع نقد حار تحول اخيراً الى معركة قلمية بين عدد من كبار شعراء فرنسا وناقديها ، فانقسم رأي الجمهور بين محبذ وبين مهاجم .

اما انا فقد احببت « مسيو بوبل » ، وعشت معه ساعتين كلهما هناءة ومحبة . احببته لانه شاعر ، كذلك الذي خلقه ، ولان جميع سكان « باولا سكالا » كانوا يحبونه ويحزنون اشد الحزن لفراقه ، وقد احسستني في الواقع فرداً من سكان هذه القرية الصغيرة ، فكان من الطبيعي ان تطفر الدمعة الى عيني ساعة اسلم بوبل روحه امام ناظري، بل احسب ان جورج شحاده نفسه بكي حين رأي بوبل يموت تحت قلمه..ولم لا يبكي، وهذا الانسان الذي يموت،ليس الا شاعراً،ليس الا «الشاعر»؟

لا ... ما هي اوهام ولا خيالات ، هذه التي تدفعني الى الحديث عن بوبل بهذا الفيض من الاحساس العاطف ، فقد شفى هذا الانسان نفسي مما اورثته فيها عشرات المسرحيات الفرنسية التي شهدتها في الاشهر الاخيرة..انها جراحات اسال دمها انعدام الحس الخلقي،وانتفاء العبرة الفكرية في كثير من هذه التمثيليات، ولم يكن يسعني - بعد خروجي من المسرح - الا ان اتساءل : ما بال المؤلفين الفرنسيين ؟ الا يشعرون بان عليهم رسالة يؤدونها تجاه المشاهدين ، ولا سيما الجيل الطالع ، حتى يسمحوا لانفسهم بان يكتبوا امثال«السكوخ الصغير » La petite Rutte ، « وبينسا » و « وفيكتور » و « عاشقة » Amoureuse و « الاعادة » La Répétition و « سيف ابي » Le sabre de mon père الخ ...؟ ان هذه المسرحيات، وكثيراً سواها، لا تهتم الا بتصوير الخيانات الزوجية والمطامع المادية والاسفاف الخلقي،دون ان ترمي الى عظة او توحي بعبرة، حتى ليخيل للمشاهد انها كتبت لتبرز تلك الخيانات ، وتدافع عن هذه المطامع ، وتبارك هذا الاسفاف...ولولا ان هناك كتاباً ملتزمين يعون مسؤولياتهم ويقدرون تبعات الادب الذي ينشئونه،فيقدمون مسرحيات رائعة في اماكن كثيرة من باريس، لكان بوسع الناقد الاجتماعي ان يحكم بان الادب الفرنسي الحديث اداة لافساد المجتمع!

اقول ان مسيو بوبل انتشلني من هذا الجو «الارضي» الذي اغرقتني فيه كثير من المسرحيات الفرنسية ، ورفعني الى جو سماوي عذب فيه مثالية وخيال .. ولكن بورك خيال ومثالية كهذين ، ما دام من شأنهما ان يعيدا الى النفس ثقتها بالانسان وبان روحه تنشد الصفاء ابداً ، وتود دائماً ان تنفض عنها ادران الارضية والمادية .

*

مسيو بوبل شخصية مغلفة بالاسرار ، شخصية ليس لها كيان حقيقي ، ولكنها مع ذلك تترك اثراً عجيباً على جميع الذين يقربونها ، سواء كانوا سعاة قرويين ، او سيدات ناضجات او صيادلة او شباناً وفتيات يجمع بينهم الحب ، او رجال دين ...



الشاعر جورج شحادة

ان بوبل يطهر وينير كل ما يمسه،واقواله مبهمة دائماً، ونصائحه مترددة ، ولكننا نشعر بأنه شديد الانسجام مع نفسه ومع هذا العالم الذي لا يدخله الا الشعراء وحدهم فيؤدون فيه مهمتهم ، وهي ان يعودوا منه بصور رائعة وبضمانات للسعادة ، حتى لنحسب ان الثقة والطمأنينة يولدان حوله بمعجزة . وهكذا استطاع بوبل ان يشعر سكان باولاسكالا حيث اختار الاقامة ، انه ضروري لهم ولحياتهم.. ولكنه ما لبث ان ترك القرية فجأة،وفي اثناء غيبته،جعل الناس سواء كانوا بسطاء مضحكين ام مرهفي الحس،هؤلاء الناس الذين اصبحوا رعيته ، جعلوا ينتظرون عودته، ولم يكونوا

* قام بتمثيل المسرحية اعضاء فرقة جورج فيتالي

يعيشون الا على هذا الامل. يغذون انفسهم برسائله الغريبة، مستخلصين منها اسباب عيشهم ووجودهم... على ان مسيو بوبل يموت بعيداً عنهم، في وسط اناس غرباء، في مستشفى حقير.. يموت في ذلك الجو من التيه والشرود والاندفاع، الذي قضى فيه حياته كلها، جو الشعر العظيم الذي استطاع ان يحيل نفساً متوحشة كنفس خادم المستشفى الى روح حساسة تستخفها الرغبة في ان تهاجر بدورها الى تلك القرية المجهولة التي كان يشعر بأمس الحاجة اليها، شأنه في ذلك شأننا جميعاً، تلك القرية التي « يستطيع الانسان ان يعيش فيها باستنشاق الهواء اذا نهض باكراً ».

تلك هي قصة الشاعر التي كتبها للمسرح الشاعر اللبناني جورج شحاده ... ولكن – ويلي – ماذا فعلت بها؟ امن الممكن ان تشوه قصيدة بأشد مما شوهت هذه القصيدة حين لحنتها؟

ليغفر لي بوبل هذه الخيانة التي جرى بها قلمي عن غير قصد.. كان ينبغي ان اجتزيء بالقول انها قصة مرور الشاعر، او قصة القصيدة، القصيدة التي هي الممثل الاول في هذه المسرحية، بالرغم من ان سائر الابطال يضمرون اسمها ولا يذيعونه.. القصيدة كما يحسها جورج شحاده: «حنين البراءة».

اما باولا سكالا، هذه القرية الشعرية – وما اعذب النطق باسمها – فكأنها قطعة من جنة عدن.. جنة ما قبل الخطيئة، حيث يتبادل العشاق حبهم مترجماً عن صورة، ويتشابكون بالايدي، دون ان يتبادلوا حتى القبلة... هناك تظهر السعادة حادثاً طبيعياً يومياً، ويحن كل انسان « الى حيث الينابيع »، اما الاشقياء فينير حياتهم أمل القرية الاسطورية.. هذه التي يغادرها مسيو بوبل، حين يموت، دون ما أسف، لان السماء صورة عنها، ومثال لها.

ولولا مسيو بوبل، أكنا نعرف باولا سكالا؟ انه يتجلى بها علينا، ويعلمنا اياها.. فهل هو نبي اورسول؟ لا، انه الانسان، ولكنه الانسان الشاعر الذي يجد حكمته في الشعر، في زهرة القلب، في زهرة الخيال، في زهرة الزهر.. وهنا يلتقي، في فن جورج شحاده، الشرق الذي اتى منه والغرب الذي اتى اليه. فقصيدته صافية كقطرة الماء، وامثاله الشعرية تهز الحس والفكر معاً، على ابهامها في الغالب: « ان الحقيقة قبعة » – « ان سعادة القلب ملعقة صغيرة » – « التيه ابن للعقل » « الهواء هو ابن شجرة الزيتون »...

ان حضور الشاعر في مسيو بوبل يحيي الروح كنسمة الربيع في الهواء الجاف. وجورج شحاده عفوي كهذه النسمة، لا يقصد الى فلسفة، وانما يستيقظ كالينبوع الثرار، فتتدفق



الآنسة مونيك دلاروش وفرنسوا مارتان في «مسيو بوبل»

الشاعرية بين أصابعه، وحسبه لكي يجمع ماء الينبوع، ان يجمع اصابعه في سكون الظلام!

وهكذا تجد نفسك معلقاً بحب بوبل، بعد ان تشاهده يعيش في شرود الشاعر، وينثر حوله الحب والجمال، ويشق امامك طريق النور، طريق الجنة الذي فقدناه في اول يوم من الخلق.

*

وبعد، فلا بد لي من ان استعرض الآن – بايجاز – مراحل هذه المعركة القلمية التي تدور حول مسرحية جورج شحاده. والواقع انها من اشد المعارك الادبية. وان « مسيو بوبل » أسال من الحبر على اقلام الشعراء والنقاد ما لم تثره اية مسرحية منذ عشرات السنين. ولا شك في ان في ذلك مجالا لفخرنا، نحن اللبنانيين، وفرصة لان نحيي شاعرنا الكبير ونتابع انتاجه الرائع وتسلقه سلم الخلود.

كان اول من هاجم المسرحية الناقد الفرنسي المعروف روبير كامب في جريدة « لوموند »، فصرح بانه لم يفهم شيئاً من التمثيلية التي كانت تحوي « كثيراً من جمل الاطفال المتأخرين، والشيوخ المبعدين. انها انتصار الغلط »... وهكذا أثبت انه لا يتأثر بالنكتة البارعة، ولا بالشاعرية الحساسة. ولم يكن رأي جان جاك غوتيه في « الفيغارو » خيراً من رأي ناقد « لوموند »، وان كان دونه في الجزم

والتقرير ، وهو على اي حال يهاجم الغموض والابهام ويذكر ان لم يكن يضحك ، حين كان الجمهور ينفجر بالضحك ، ولم يكن يستشعر التأثر ، ساعة كان الكثيرون حوله يظهرون كل تأثر « واحسب انني مغلق تجاه رموز كهذه ! » . اما الكاتب الوجودي المعروف غبريال مرسيل ، فلا يشك بشاعرية جورج شحاده ، ولكنه يشك بصلاحها للمسرح . ويشارك هذا الكاتب رأيه مارك بلجبدر وغي فيردو . على ان هذا الاخير معجب برهافة حس شاعرنا وهو يقول : « ان بوسع صالة الهيشات ان تحوي كل مساء ستين شاعراً » .

اما محررة « الكومبا » رينيه سوريل فتخالف عن رأي جميع الذين سبقوا وتقول : ان هذه المسرحية تتطلب من الصالة التصاقاً تاماً ، ومشاركة خصبة ... انني احب هذه المسرحية ، وقد مست من نفسي اوتاراً لم تمسسها مسرحيات قبلها ، واني اشعر بعد مشاهدتها باني مدينة لصاحبها بالعرفان . ومثل هذا رأي جاك لومارشان في « الفيغارو ليتيرير » فهي في نظره تفيض بالدقائق الجميلة ، والتفاصيل المرحة ، فضلا عن انها تضطرب في جو مصفى من الشاعرية الرقيقة التي تهتز لكل همسة ، وتستجيب لادق شعور .

الى هنا ، والمعركة كانت ولا تزال « مناوشة » .. ولكن الاسابيع القليلة الماضية ، ما لبثت ان شهدت هجوماً مركزاً صاخباً شنه الشعراء دفاعاً عن مسيو بوبل وعن خالقه . وتتجلى قيمة هذا الهجوم بقواده العظام ، وعلى رأسهم مبتدع مذهب السير يالزم ، اندريه بريتون . فقد كتب يقول : « لو كان هؤلاء السادة ، نقاد المسرحيات ، يستطيعون ، لبصقوا على قطعة شكسبير « حلم ليلة صيف » .. فمن المأمول الا يسمح الجمهور لنفسه بالا يتأثر بعوائهم ، وان يدافع ، ازاء « مسيو بوبل » ، عن تاج ذي جمال نادر » .

وقال الشاعر المعروف « رينه شار » بعد ان ذكر ان الفصل الاول من المسرحية ازعجه قليلا : « احببت الفصل الثاني بانفاسه الحارة » . اما الفصل الثالث ، فكان الشعر ، الشعر الصافي القوي الذي يعبد .. ان شعر جورج شحادة قد حقق المعجزة .. « وكان القمر يعطي ، وكان الندى يسقط .. » وحين خرجت من المسرح ، كان السحر قد ملا ذرات كياني جميعاً »

ومما قاله الشاعر جورج لمبور « اننا نشم عبر ميسو بوبل نسمة صافية . انها عين ماء خضرة ينبغي ان يردها الباريسيون ليستقوا منها .. لقد احسست طوال السهرة ببسمة ابدية على وجهي ، كأنها يد الشاعر اللطيفة .. سهرة بطولها ، وهذا ليس بالقليل » .

ولا حاجة لنا بالاطالة بعد ، فكثيرون هم الشعراء الذين مجدوا خالق بوبل ، وكلهم مجمع على ان جورج شحاده ، الشاعر اللبناني ، رمز للشاعرية الدافقة ، الشاعرية البريئة البسيطة التي تنبض بالسحر ، وتخفق بكنوز الوجدان .

باريس

سهيل ادريس



# التأملية عنصر النهضة في الادب

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

ان المفاجأة والسرعة ركنان تستند اليهما حضارة الجيل الذي نعيش فيه ، وكلما مال الانسان الى الامعان في الاساليب الباغتة ملكت عليه الحواجز المادية فضاء الروح وسدت في وجهه الآلة الجبارة أغوار الفكر ومنافذ الضمير ، لذلك هان ، في هذه الآونة من الدهر ، قدر الفلسفة الباحثة في قيم الخلق والعدل والوجودية المجنحة فوق التراب ، فتبدلت مقومات الحياة واختلطت مظاهرها وتفاعلت عواملها في غير انضباط واتزان .

وبتأثير هذا التهدم المعنوي خمدت شعلة التراث الفلسفي العالمي المنيرة مسالك المعرفة ، والتوت مناهج العلماء عن جوادها المشروعة وفشا نهم غريب مخيف الى انواع من التأليف يغذي في القراء ، ولاسيما الناشئون منهم ، الغرائز الجامحة ، فطغت على اسواق النشر والطباعة في بلادنا غمرة من الورق المحبر والملون ، أقل ما يقال فيها انها سموم تدفع بضحاياها الى مهاوي الانتحارين : الصحي والخلقي تذكر عندها ، بألف خير ، ايام التلاعب البياني باللفظ ومراحل القعود عن الاهداف الفكرية العالية .

ولما كان الادب الصحيح واحة البشرية في قفار تيهاء وميناء ارتياحها على شواطىء بحارها الصاخبة ، كان لا بد للاديب من ان يغمس قلمه في معين الحياة ويحبر سطوره على ضوء البصيرة الواعية رسالتها بعض الوعي او كله .

وفي حدود هذا الوعي المشرق لمس الكتاب والشعراء النابغون والقراء الرصناء ضرورة التأمل عنصراً يكفل للقلم المنتج بقاءه على ذرواته الرفيعة ويضمن لسوق الادب بعض سموها عن مزالق الابتهاز ومفاسد الحرف الرخيص ، وسطحية الكلام الاجوف، فكانت هذه السماوة في الادب العربي المعروفة بالتأملية .

ولقد كانت الفئة الاولى التي نبه شأنها في نقل التأملية الى اللسان العربي من نوابغ مهاجرينا الادباء ، في الاميركتين الشمالية والجنوبية ، فلمع صفها الاول في الولايات المتحدة ، تقوم ، على رأسه ، الرابطة القلمية ، وصفها الثاني في البرازيل ، معقود لواؤه للعصبة الاندلسية . نشير الى هؤلاء ، محتفظين لسواهم من المهاجرين الاغنياء الفكر بالجهد الفردي الذي نهضوا به تحت كل كوكب وفي كل بلاد . ولم تلبث طويلا هذه الموجة التأملية حتى غمرت نفراً من ادبائنا المقيمين في لبنان وغيره من الاقطار العربية .

وعندي ان النفع ، الذي اجدته العربية في هذا النحو من النتاج الادبي عن طريق المهاجر ، يوازن ، في بعض وجوهه ، ما افاده الحرف العربي، بالاقتباس والترجمة، من فنون المذاهب الادبية ، في صدر الدولة العباسية .

والتأملية التي نعنيها هي استيعاب الموضوع والكشف عن بواطنه وعرضه في ملامح الصورة باسلوب تكون للبصيرة فيه المهمة الاولى .

وقد لا نكون على خطأ ان قدمنا جبران حامل لواء التأمل في الادب العربي الحديث ، فاسمعه يقول :

« وعظتني نفسي فعلمتني الاصغاء الى الاصوات التي لا تولدها الالسنة ولا تضج بها الحناجر ، وقبل ان تعظني نفسي ، كنت كليل المسامع مريضها لا اعي سوى جلبة الصياح . اما الآن فقد صرت أتوجس بالسكينة فاسمع اجواقي منشدة أغاني الدهور مرتلة تسابيح الفضاء معلنة اسرار الغيب » .

« وعظتني نفسي فعلمتني لمس ما لم يتجسد ولم يتبلور وأفهمتني ان المحسوس نصف المعقول وان ما نقبض عليه هو بعض ما نرغب فيه ، وقبل أن تعظني نفسي كنت اكتفي بالحار ان كنت بارداً او بالبارد ان كنت حاراً وباحدهما ان كنت فاتراً. اما الآن فقد انتشرت ملامسي المنكمشة وانقلبت ضباباً دقيقاً يخترق كل ما ظهر من الوجود ليمتزج بما خفي منه » .

«وعظتني نفسي فعلمتني استنشاق ما لا تبثه الرياحين ولا تنشره المجامر ، وقبل ان تعظني نفسي كنت ان اشتهيت عطراً طلبته من البساتين او من القوارير او المباخر . اما الآن فقد صرت اشم ما لا يحترق ولا يهرق واملأ صدري من انفاس زكية لم تمر بجنة من جنات هذا العالم ولم تحملها نسمة من نسمات هذا الفضاء » .

وهكذا جمعت تآليف جبران ومن نحا نحوه على هذا التأمل في ما وراء المحسوس ، وافراغه في بيان يغري بالقراءة ويحمل على التفكير . وكم تحس في الاستمرار سطحية مغلفة بطلاء الحكمة عندما تقف متأملا مع جبران ، وهو يقلب مثل هذا المثل الشائع :

« عصفور في اليد ولا عشرة في الشجرة » فيقول : «عصفور في الشجرة ولا عشرة في اليد ». فتحس اذ ذاك بأن قيمة الانسان ، على سرحة هذه الارض ، هي في ما تبقى له من وثبات الطموح والتحليق الواسع وراء الاماني القصية .

او تنظر اليه وهو يفضل الجهل على العلم ، ان كان العلم يستعبدك ، فيقول من علمني حرفاً صرت له عبداً ، ولذلك فضلت ان ابقى جاهلا ، فتأمل .

ولعل الاشارات المتفرقة الدالة على هذا النحو من الادب أجدى ، ونحن في صدد الكلام على عنصر في الادب وليس على اديب واحد ، فنلمع عن امين الريحاني في مقال واحد بعنوان « التجديد المزيف » ونجتزىء قوله عن النهوض الصحيح بأدب اللغة العربية ضارباً بالعنت اللغوي عرض الفضاء .

« اما روح اللغة ، وطريقة الفكر فيها ، واسلوب الكاتب الذي هو صورة لشخصيته، والحرية الذوقية في اختيار الاماكن بين الكلمات والسطور لهمساته وصيحاته ، ودمعاته وضحكاته ، وغمزاته ولمزاته ، والاختراع في معالجة المواضيع القديمة ليعطيها شيئاً من الجديد ... كل ذلك هو عند « المنكمشين في نطاق الالفاظ والقاموس » في الدرجة الثانية او الثالثة من الاهمية اذا قيس بشيء من « حتى » والسبب في ذلك ، بالرغم من جودة عقولهم وسموها هو انهم سطحيون، او انهم يعتقدون ان الحياة

في ظواهرها ... » وفي بذرة من بذور الريحاني للزارعين قال : « اتخشون الموت ، ايها الناس ، ولا تشعرون بموت انتم فيه ؟! ان عظاماً في الاجداث بالية لخير من هاته الاشباح التي تتمشى في اسواق المدينة . »

والريحاني قائد من النفر القليل الذي ارتفع ، عن طريق التأمل ، بالمؤلف العربي الى مراتب الخلود ، ويوشك ان يكون هو وجبران ابرز الناهضين الى آفاق التأمل والسابرين اغواره ، مع الاحتفاظ بالفارق البارز الذي اشار اليه الاستاذ خليل تقي الدين اذ قال ما معناه :

« جبران والريحاني كلاهما اختط طريقاً جديداً ، اما الاول فقد نسف الجسور وراءه واما الثاني فقد ابقى عليها قائمة معبدة . »

ونجد في مثل « بساط الريح » لفوزي المعلوف اناشيد من افضل النماذج التأملية ، فيها يمثل الشاعر نفسه على طائرة ، في رحاب الجو فيقوّل الروح الشاعرة النائية عن عالم المادة نشيداً هذا بعضه :

لست من عالم التراب وان كنت تقمصت بالتراب عليه
انت من عالم بعيد عن الارض يفيض الجلال عن جانبيه
نسمة الشعر انت فيه تبثين اريج الشعور في بردتيه
هو فردوسك السحيق فلا الاثم والشر يبلغان اليه
وفتى الشعر فيه يستنزل الوحي بيانا يجثو الخلود لديه

وبعد ان تقلق النسور لمقدم ذلك البساط الصاخب وتهم بالانقضاض عليه ، ذوداً عن طمأنينة عالمها الرفيع ، يطمئنها الشاعر بمثل قوله :

لا تخافي ، يا طير ! ما أنا الا شاعر تطرب الطيور بشعره
زارك اليوم متعبا ينشد الراحة في هدأة السكون وسحره
فر عن ارضه فرارك عنها ، من اذى اهلها وتنكيل دهره

واذا ما عاد الى الارض عرض لك الانسان الهاوي عن منازل الخير الى دركة الشر عرضاً تشاؤمياً تحس فيه منازع الاذى تتحرك تحت عينيك اذ ينشد :

نسي الخير حين أوغل في الشر فداس الضمير في عصيانه
ملات قلبه الافاعي فلا يسمع غير الفحيح في خفقانه
فاذا بالاذى وليد حجاه واذا بالشرور بنت لسانه
عاث في ارضه فخالت جحيما فاتى الخلد عائثا في جنانه
زج بالعلم في الفضاء طيوراً من جماد يديرها ببنانه
ما بناها الا لهدم المباني ولسفك الدماء في طيرانه

وهذا القروي الشاعر يرد على الحاقدين عليه من أجل وطنيته وقصائده ، الملتهبة حماسة ووفاء ، بقصيدة اسماها : « تسبيحة الحب » فكان فيها تاملياً من الطراز الرفيع ، وها كم بعض ابياتها :

عدوك ، يا عدوي ، من توارى بصدرك موقداً بحشاك نارا
فان تطلب من الاعداء ثارا فآخ الناس وانتحر انتحارا
فأعدام بثوبك قد تخفى
عدوي ، سوف تطحننا القبور وتنخلنا وتجبلنا الدهور
فهبك حمامة الوادي تطير وصرت لك الجناح الا تطير ؟
او العش الطري الست تدفا ؟
وهبك السيل يجترف الصخورا وهبك الريح تقتلع الجذورا
الست تراهما انقلبا خريرا وهينمة يهزان الزهورا
وسالا في الرياض ندى ولطفا ؟

وايليا ابو ماضي ، شاعر الطبع التأملي ، يطالع قراءه بشعر يميل الى الادب الباسم ، اذ يفرغ من معظم قصائده لينفض يده من التواء مسالك الانسان في حياته لا لينفض يده من الحياة نفسها كما فعل اكثر المجيدين في نتاج التأمل. نقول يميل الى البسمة ، اذ نراه يدعو الى ازدراء الاشجان في قصيدته « ابتسم » او في قصيدة اخرى بعنوان « فلسفة الحياة » ، التي فيها يقول :

هو عبء على الحياة ثقيل من يظن الحياة عبئا ثقيلا
ايهذا الشاكي وما بك داء كن جميلا تر الوجود جميلا

ولكنه لا يخلو من ملامح التشاؤم في مثل قوله في نهاية قصيدته « العنقاء » رمز امنيته الضائعة :

عصر الاسى قلبي فسالت ادمعا فلمحتها ولمستها في ادمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى ان التي ضيعتها كانت معي

ولعل من حمل ادبه كله محمل الادب الضاحك عول على مثل دعوته الى المرح ، في قصيدته المكتنفة بضباب التساؤل ، عنوانها « المساء » اذ كان يناجي سلماه داعياً الى اطراح كآبة المساء والتلبس باشراقة الصباح ، فقال :

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي : كيف مات ؟
ان التأمل في الحياة يزيد آلام الحياة
فدعي الكآبة والاسى واسترجعي مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبهاء ليكن كذلك في المساء !

هذه لمحات خاطفة راينا فيها اشارة واضحة الى ان التأملية هي الميزة البارزة التي عولنا عليها عنصراً تستند اليه النهضة الادبية الحديثة ، في هذا العصر الذي التوى عن جواد الفلسفة الاصلية .

نسيم نصر

# سعدى

بقلم نجاتي صدقي

شغل هذا الحادث قبيلة بني مادح الضاربة خيامها على ضفتي الدجلة ردحا طويلا من الزمن ، ولم يهدأ لها بال الا بعد ان دفع الثمن وكان غالياً .

ولهذا الحادث صلة متينة بالحب البدوي . والحب البدوي اعنف من الحب الحضري لانه يقوم على الطبيعة البشرية المجردة، في حين ان الحب الحضري تشوبه عناصر غريبة من المادة والاجتماع والرياء . وهكذا صار للحب البدوي ملكه ، وصار للحب الحضري شيطانه .

وزار ملك الحب بيت « سركال » ، اي غني،مزارع ، من بني مادح ، وصوب السهم الى قلب الفتاة سعدى وحيدة ابويها، فترنحت وسقطت اسيرة الهوى البريء .

ولسوء طالع سعدى ان يكون فتاها محسن غريباً عن قبيلة بني مادح التي لا تبيح لاحد من غير قبيلتها ان يتزاوج من فتياتها، فتشاور الفتى والفتاة في الامر، واتفقا على الفرار ، فرحلا الى بغداد وسكنا في كرادة زوية ، وهي ضاحية من ضواحي العاصمة ، تقعُ على ضفة الدجلة الشرقية ، تحيط بها حدائق غناء، واحراج من النخيل الباسق الشبيه باسراب من الصبايا الرشيقات.

واذ كانت سعدى تتقلب بين ذراعي حبيبها، وتشعر في جواره انها اسعد فتاة في قبيلتها ، كان ابوها يقلب « الدلة » مقسما باغلظ الايمان الا يقدم القهوة لاحد حتى يمحو العار الذي لصق به وبقبيلته .

ولقلب « الدلة » عند بني مادح مغزاه .. فالدلة هي ابريق واذا ما اراد احدهم ان يثأر لنفسه قلب ابريق القهوة رأساً على عقب وتركه مقلوباً الى ان ينال بغيته .

وبعد ثلاثة اشهر افاقت سعدى من سكرة الحب . واخذ ضميرها يؤنبها على فعلتها هذه ، وراحت تتصور ما يلاقيه اهلها في القبيلة من عار ، بل ما تلاقيه القبيلة كلها من مهانة واحتقار بين القبائل المجاورة ، فارتبكت وجعلت تفكر في مخرج من هذه الكارثة . وللبدوية في حالة كهذه ان تختار احد طريقين لا ثالث لها : اما الاستمرار في الغي واما الاستسلام ، وكلا الطريقين محفوف بالمخاطر .

اتعود الى ابيها وتجثو عند قدميه وتسأله الرحمة والمغفرة ، ام تواصل حياتها السعيدة الى جانب شقيق روحها محسن . اتعود الى ابيها وترفع عن كاهله وعن كاهل بني مادح كلهم عبئاً معنوياً ثقيلا ام تظل مع « ولفها » تبادله الهنوات اللذيذة في العاطفة والاعصاب التي يطلق عليها الناس اسم الحب ؟.. و« الدلة » اتظل مقلوبة طويلا ؟..

لا تدري سعدى كيف انسلت في صباح احد الايام من بيت حبيبها وهو يغط في نومه وخرجت تتعثر في اذيالها ووجهتها بغداد . وفي عاصمة الرافدين لجأت الى بيت احد الوجهاء من معارف ابيها بمثابة « دخيلة »

و« الدخالة » من العادات البدوية القديمة الجميلة ، ولا تزال متبعة في العراق حتى ايامنا هذه ..

قالت سعدى للوجيه البغدادي : انا دخيلة عليك . فرحب بها ثم عهد اليها امر العناية باطفاله الى ان تتم وساطته مع اهلها . وظلت سعدى في حمى الوجيه مدة ستة اشهر، وهو لا يالو جهداً في الوساطة لدى ابيها .. غير ان هذا كان يأبى دائماً ان يعد الوجيه بشيء ويطالب بان تسلم ابنته نفسها اليه دون قيد او شرط . او كما قال للوجيه مرة : لقد خرجت قضية سعدى من يدي، فالقبيلة هي التي تقرر مصيرها . وما انا في مثل هذه الحالة الا منفذ لرغبة بني مادح !

وظلت الدلة مقلوبة كما كانت منذ تسعة اشهر .

اما سعدى فظلت تعنى باطفال الوجيه ، وتقص عليهم القصص اللطيفة التي تتحدث فيها عن الغزلان ، والابل والسراب ، والعواصف الرملية ، والرياح السموم ، والقفار الوعرة ، والواحات النضرة ،.. وتغني لهم اغاني عذبة تنوه فيها بالدجلة والفرات ، واليمام ، وليالي بغداد ، ونسيمها العليل ، ونجومها الساطعة .

ومن هذه الاغاني ما تقلد به هديل اليمام المعروف بـ« الفوختة » فتقول على وزن الهديل :

ــ « يا فوختي ، وين تمشي ــ بالحلة ــ
ايش تعملين ــ اذكر الله ــ ايش تشربين
ــ اشرب ميه . ــ ايش تاتشلين
ــ اتشل بجلا .. » .



# رجوع

امام « خلق » البير اديب عدد مارس ١٩٥١ من الأديب

ادلقي البؤس، ادلقيه على جرحي ناراً ـ وتمتمي بالدعاء
مات ، حتى الصدى، ولم يبق الا هينمات ترف عبر الفضاء
كل شيء ، نذير ما هو آتٍ، اي شيء يجيء ـ غير الفناء
لجة ، اثر لجة من ـ فناء ـ فاغرقي ، اغرقي بحضن المساء
لم يعد للوجود معنى ، وطيب ، غير نتن الفجور والبأساء
من ترى،مزق الشعاع على الافق، وغطى بالظلم وجه السماء
وعلى الحقل، من اباح عصا الراعي، لهذي العصابة النكراء
ذبحوا الشاة ، واستباحوا دماها ، ثم صلوا تهجد الاتقياء

***

ادلقي الفجر ، ادلقيه على عيني ، وهات من المنى الحمراء
واستفاق الضمير ، يهتف بالكون هتافاً يضج ، بالأصداء
انهضوا يا عبيد ، قد سكر الدهر،وجنت عواصف الكبرياء
واستفاق المجهول ، يزأر للثأر ، ويهفو حنينه للحداء
ارجعي،واسكبي الخمور على جرحي،فانت اعتصارة من دمائي

طرابلس — محمود عيسى

فيسر الاطفال وينصرفون الى ترديد هذا الكلام مع هديل اليمام الذي لا ينقطع .

واستمرت الوساطة ولكن دون جدوى ، وظلت «الدلة» مقلوبة ، وغدت عينا سعدى محمرتين مثل الجمر من قلة النوم ، وكثرة البكاء ، فهي لم تظفر بعطف ابيها ، وخسرت حبيبها الذي خيل اليه ان ذويها اختطفوها وقطع الامل من رؤيتها او الاجتماع بها الى الابد .

ولما رأى الوجيه انلا فائدة من الوساطة ، وان من الخطر ابقاء سعدى في بيته اكثر مما بقيت ، عقد النية على نقلها الى بيت منعزل في حي من احياء بغداد النائية ، ولاهلها ان يأخذوها من ذلك البيت اذا ارادوا وليس من بيته . وبذلك يصبح في حل من مسؤولية « الدخالة » الادبية .

وغادرت سعدى بيت الوجيه ، وهي تعانق اطفاله وتغسل وجناتهم بدموعها ، فيسالونها متألمين : الى اين انت ذاهبة يا سعدى ؟.. كيف تتركيننا ، ومن الذي سيقص علينا القصص الجميلة ويغنينا الاغاني العذبة ؟.. فتجيبهم بكلمات لم يفقهوا لها معنى : اني ذاهبة لارى ما قدر لي وما كتب على جبيني !.

ومكثت سعدى في ذلك البيت المنعزل ثلاثة ايام تنام على الحصير ، وتتغذى بالخبز والماء .

وكانت لا تنفك تغنى هذه الاغنية الشعبية :

« هلي يا ظلام هلي .
وجيبوا لي ولفي الي .
خايبين يا ظلام .
ترى الفركه جوت قلبي جوى .

***

لا يا هلي الظلام .
لا رحم عدكم .
جيبوا لي ولفي عاد .
موش انا بنكم .

***

لا يا هلي الظلام .
ماكو مروه .
جيبوا لي ولفي عاد ، قلبي تجوه .
جيت ولقيت الدار .
خالي من الاحباب .
صبن دموع العين .
يم عتبة الباب » .

وفي اليوم الرابع طرق سمع سعدى وقع اقدام وصرير مفتاح .. وهمهمة ودمدمة .. فانتصبت مذعورة فرأت نفسها وجها لوجه قبالة ابيها واشقائها ومثلين من قبيلة بني مادح

ادركت سعدى لساعتها ما صمم القوم فعله . فجثت تبكي وتطلب العفو ، لكن يداً قوية اخذتها من ناصيتها،ويداً اخرى اخذت تسلبها النفس . وكانت في حشرجتها الاخيرة تقول :انني عذراء .. انني عذراء .

وفي مساء ذلك اليوم اشيع في قبلة بني مادح ان ابا سعدى عدل « الدلة » !

نجاتي صدقي

# مارسلين ديبورد فلمور

**بقلم محمد عيتاني**



**عزيزتي** فهمت من رسالتك الاخيرة انك حزينة وانك تقضين ايامك بين مدرستك وبيتك، مطرقة واجمة، تجترين كآبتك، وتعانين من اضطرام الوجدان، وحسرات المجهول، الشيء الكثير.

ومع هذا فما أسعدك وما اشقاني! لقد تصورتك، بجمالك، وذكائك، وحكمتك، وحياتك البيتية الرتيبة الدافئة، ثم قارنت هذا بغربي في أرجاء البلاد باحثاً عن العمل واللقمة، تتنكر لي السعادة ويسخر مني الاستقرار. ولكن ما لي وللتفلسف والمقارنة والنصيحة؟ امامي رسالتك الطويلة النابضة، اعرف منها حالتك النفسية، وشيئاً من تجربتك الغرامية الاولى الفاشلة، وطرفاً من حياتك الشقية الماضية. بل ان لي من رسائلك الغابرة، ولحظات اللقاء الشريف العابر التي كانت تجمعنا في ضواحي بيروت، خير دليل الى دنياك الماضية المحمومة المفعمة بالف آهة والف رجاء...

أجل، لدي كل هذا، فلماذا اقحم نفسي في جوك، وأحمل عالمي الغريب المضطرب الصارخ بحيرة الروح وتجارب الابالسة، انا الشاب الحائر المجرب، الهائم على وجهي في ارجاء الارض... كيف ازج بنفسي في جوك الهامس بالروعة والجمال، الحالم بالحنان والبسمات، ولم أفتح لك من نفسي جوانب غريبة عنك، ويجب ان تظل مجهولة، بما فيها من وساوس ومشاغل وحسرات؟. انها دنيا رجل، أتعلمين كيف تكون هذه الدنيا؟

انها افكار غامضة يشد بها الوضوح الى السطحية التافهة، ويختمر فيها فعل مرتعش جديد يحملها الى اعماق الخفاء، وسعي انساني في غير ما خلق له الانسان، وحياة مزدوجة او فقولي حياة ذات الف اتجاه واتجاه، مدنية تدك وتزمجر خرائبها الداوية في اعماق النفس، واوراق حياة تتساقط عن الشجرة ذاوية في السواقي... وأيام تمر... وتمر... وشباب أقضيه في التفاهة... وثقافة بابلية أحاول ان انظمها وأعمقها - لتفعل لتجدي علي او على الناس! - فيهب عليها تيار الحياة الحديثة فتذهب هشيماً تذروه الرياح.. وشعور بالفردية العاجزة امام سلطان الجماعة القاهرة، يقابله (ولا يوافقه) شعور بهوان جماعتنا امام الافراد التعالب... كل شيء حولي يسير من سيء الى اسوأ: الفرد، انا - عملياً وفكرياً، بلدي وطني. الانسانية. رسالتي «اذ ان الشائع انه لكل فرد يائس يشعر بالاحتضار البطيء، رسالة».

انني لا زلت شاباً عاجزاً امامه ملايين من الشباب الجبناء. لم يلتمع لهم ولا له، في الآفاق الوحشية، بصيص نور...

***

لهذا كله، وكثير من تناقضات الحياة وعصف شؤونها حاولت الا اقحم نفسي على جوك ودنياك، لاترك لازهارك نسيمها العابث الهادىء، يحركها بحنان، ولالوانك تراسلها، ولبهجتك لون الاعراس، وانغام الرعيان في الحقول البهية...

وتقولين، في رسالتك: «انا حزينة يا صديقي حتى الموت. ان هذه المدينة ذات البنايات الشاهقة الساكنة المكللة باشعة المساء الوردية، لتزح بأثقالها على صدري.

انني اذهب من مدرستي الى بيتي، ومن بيتي الى مدرستي، في الصبح والظهر والمساء. انني آلة يا صديقي. آلة افرغت كل ما كان ينتظرها من الحب ويئست دفعة واحدة!! فاكتب الي بربك لاشعر ببعض العزاء. لاشعر ان قلباً ينبض بحبي قد فكر اليوم في، قلبا غير القلب الذي تعلم... فذاك تجمدت دماؤه

وقست عروقه « وسمحت نفس » صاحبه بان يدوس كبريائي ويلقي برسائلي وعهودي في سلة المهملات... اكتب الي ، لاعلم ان اخا لي في هذا الوجود الرحيب، اتصلت روحه بروحي، فاكتب ، اكتب. اجل ارددها ولا اخشى على ديباجة رسالتي من الركة . »

فماذا اكتب ؟

لقد كنت اقرأ، قبل ان تصلني رسالتك بشاعرة احبت مثلك ... ان حبها كان ـ واغفري لي ما اقول ـ اعمق من حبك. ولا بأس ان تحدثت اليك حديث نفسها وشقائها وشعرها ، عسى ان يخفف عنك هذا بعض ما تعانين من السأم حين « تعدين، كما تقولين، دقات ساعة المدينة، وانت تتقلبين على فراشك الشائك الندي ... »

انت تأمرني بالكتابة ، وهي ، اي « مرسلين ديبورد فلمور » من شواعر القرن التاسع عشر الفرنسيات، وكانت تكتب لحبيبها ليكف عن الكتابة. اسمعي ، فانني لم انقل اليك هذه الابيات وسواها الا لاحمل الى ثغرك ابتسامة الخلاص ، بعد ان شعرت بانك في حالة الحزن المرير . اسمعي شاعرتنا مارسلين تقول في قصيدة لها :

لا تكتب الي

لا تكتب الي فانا حزينة . ولكم تمنيت ان انطفي ... ان فصول الصيف الجميلة، اذا مرت بدونك كانت كالحب الخامد.. لقد اطبقت ذراعي وليس بوسعهما ضمك. ولو حاولت الآن ان «تعزف» على أوتار قلبي ، لكنت كمن يدق على رخامة القبر.

فلا تكتب الي .

لا تكتب الي، إنني أخشاك، واخشى ذكراي ، لأنها لا زالت تحتفظ برنة صوتك الذي يناديني ولا ينقطع عن النداء

لا تظهر نمير الماء الصافي لمن قضي عليه بالظمأ الابدي .

إن الرسالة العزيزة المعبودة ..

لوحة حية تمثل الحبيب المعبود

فلا تكتب الي .

لا تكتب الي بتلك الكلمة التي لا أجرؤ على قراءتها ، ومع ذلك يخيل الي ان صوتك يغمر قلبي بها. وأنها تخفق عبر بسماتك المشرقة. وان قبلة ملتهبة تضع كلمة « احبك » على قلبي .

فلا تكتب الي

***

ارأيت يا صديقتي، لقد طلبت الشاعرة مارسلين الى حبيبها الا يكتب ، فهل يعني هذا انها ترهب الأسى والالم . كلا !!! إنها ذاقت في حبها اعمق الآلام، واكتوت بسعيره. ولا شك انها ارادت، حين كتبت هذه القصيدة ، تصوير ما يعتورها من اللهفة ، حين تتلقى رسالته ، ويتمثل لها على الصفحات ، وجهه المحبوب.

مسكينة هذه العاشقة . ما ألطف شعورها واعذب روحها. وما اقسى ذلك الحبيب الغاشم !! لقد قطفت ذات يوم ، ورود الضفاف ، وجمعتها في اذيال ثوبها، لحبيبها ، وها هي تروي له القصة :

***

أردت هذا الصباح ان احمل اليك ورود الضفاف .

ولكن بلغ ما جمعته منها مبلغاً كبيراً حملته ، لك ، في اذيال ثوبي.

فلم تعد العرى المشدودة تتسع للورود

***

تقطعت العرى يا حبيبي وتطايرت الورود كلها، في الرياح، نحو امواج البحر. واندفعت مع المياه الى حيث لا تعود، ابداً. احمرت الموجة وكأنها توهجت بلهب الأزهار وحتى هذا المساء لا زال ثوبي يعبق بالأريج. فتنشق يا حبيبي ، على جسدي ، ذكراها العاطرة ...

***

أي لطف في حس صاحبتنا الشاعرة وأية لباقة ! وهكذا العشاق. تذنب الرياح والبحار ، والاقدار ، وتذهب بأزهار حبهم ، فلا يعدمون ذكرى يتنشقونها ويتهادونها ، ولكن هذا الحبيب، حبيب « مارسلين » هل وفى ؟ ام أنه جزى حبيبته صداً بحب ، ووصلا بحرمان ؟

اسمعي هذا العتاب في قصيدة لها عنوانها

« ماذا فعلت بقلبي »

كان قلبي معك .

وقلبك كان معي .

قلب بقلب .

وسعادة بسعادة .

●

اعدت اليك فؤادك ...

ولم يعد لدي فؤاد ...

اعدت اليك فؤادك

واما فؤادي ... فضاع .

●

ماذا فعلت بهباتي الجميلة ؟

بالورقة ... وبالزهرة ... وبالثمرة ...

بالورقة وبالزهرة ...

وبالبخور وباللون ؟

ماذا فعلت .. ماذا فعلت يا سيدي القاهر؟

ماذا فعلت بهباتي هذه الجميلة ؟

●

كطفل صغير ... تركته أمه

كطفل صغير بائس ... لا يدفع عنه الاذى دافع .

فهو معرض للموت والحرمان ...

تركتني هنا .. لحياتي المرهقة ووساوسي.

تركتني هنا ... والله شاهد عليك .

●

فهل تعلم ان الله ، سيطالبك يوماً بدمي وان شبح الحب المضاع ، سيقبض على ذراعك منتقماً .
وعندها ستنادي دون ان تسمع مجيباً .
أجل ستنادي ، وتنادي من جديد .

●

ستأتي يائسا وتدق بابي .
ستأتي كما في الايام الغابرة ، حالماً !!
وسيقولون لك « ليس هنا أحد انها ماتت » . سيقولون لك هذا .
فمن يواسيك عندها ؟

***

لا شك انك تتألمين يا صديقتي ، لهذه المرأة . لهذه الشاعرة المسكينة من بنات جنسك ، وترثين لها ، وتنسين ـ ولو موقتاً ـ احزانك . لتري الى ما رمتها به الاقدار . انها شاعرة موهوبة مرهفة الاحساس ، سأقص عليك حديث حياتها في رسالة ثانية ، واكتفي هنا بتحليل بعض جوانب نفسها . وايراد بعض قصائدها . « واريد ان اصارحك بشيء على هامش الحديث » :

اني اعترف لك بان هذه الشاعرة المسكينة لم تؤت ملكة فنية قوية ، تجعلها من شعراء المعرفة الجمالية ، كفاليري وراسين وأوكلند وبندار ، بل ان اسلوبها كما ترين « ولم اشأ ان اضيف اليه جمالا متصنعاً في الترجمة يبعده عن عفويته الشاعرة » يشبه الى حد بعيد همسات شاعرتنا المحبوبة المفضلة فدوى طوقان .

اتذكرين تلك السويعات الماتعة ، تجمعنا تحت خرنوبة الاشرفية ، في مطلنا الريق المتسامي . على نهر بيروت وابعاد صنين ،

كان النسيم ، يومها ، يقرأ معك ويرخم اشعار العزيزة فدوى ... اما الآن ... فاقرأها في « الاديب » هنا وحدي ، في غرفتي المنعزلة ، في كلية صور الجعفرية ، فاحس بقوافيها ورناتها وانغامها ، وكأنها تومىء الى دنياك ، متمردة متنافرة !!!

ذكرت في رسالتك نزهتك الاخيرة مع صديقك « أ. ف » ذلك الذي لم يكن ليقدرك حق قدرك . وانك اجدت الوصف وخاصة حين قلت انك كنت تحسين يومذاك بانها النزهة الاخيرة مع حبيبك . ولماذا ؟ لانك احسست بان الطبيعة هي التي تكسوكما لذة وجمالا ولستما انتما اللذان تفعمانها جمالا والواناً .. لقد احسست بان صديقك لم يعد يحبك . ومع ذلك فحديث هذه النزهة ـ كما تقولين ـ عزيز عليك . لانك لا زلت تحبين هذا الشاب ـ تذهبين الى مغنى اللقاء الاخير لتندبي حبك وترمقي تلك الادواح السامقة ، والربوع الخضراء المصفرة ، والسواقي الغاصة اليوم باوراق الخريف . فاسمعي شاعرتك «مارسلين» تصف نزهة كنزهتك فتقول :

اتذكر يا نسمة روحي ويا شعاع حياتي !
يوماً من ايام الخريف الشاحبة الذابلة ..
كان كانه يودع الناس بالنحيب فيهمس للغابات ويوحي اليها من حزنه فتحزن .
وتنقطع العصافير في الاجواء عن اغاني الامل ...
وتسربل الانداء الباردة اجنحتها الثقيلة .
هذه العصافير تحس بالخريف ...
فتدعو ازواجها المخلصة الحزينة ...
لتنتظر معها على الاغصان العاطلة من الازهار ...
المساء الاخير ...

●

كنت وحدي يومها ، فخشيتك وابتعدت عن عبد الطبيعة الجميل ...
وتجنبت نظراتك ، باحثة عن رشدي
ولكن ذبول الحقول الناعسة ، باحزانها الآسرة
أضافت جمالا سحريا غامضاً
الى حزني الغامض
فرحت اهيم دون امل ودون هدف
ما شاء لي حلمي الهيام ...
والتقيت بآله الحب
فخلع علي ظلك المعبود
ورغم قر الجو ولسع البرد ، خيل الي
ان الهواء محرق لافح .

●

كنت اريد ولكن عبثاً! ان انجو منك .
وكنت ارتعش واجاهد للخلاص ...
وكنت كأني اهرب من نفسي حين احاول الهرب منك .
وعيني المحتجبة بالدموع كانت مركزة على الارض ...
فنزعتها من التراب قوة قاهرة ...
ومن خلال الغيوم رأيت صورة شفافة ..
فخفق صدري حناناً ورعباً ...

ولم اجرؤ على مخاطبتك ... بل بقيت حالمة صامتة ، تقيدني هذه الحيرة وتستعبدني .
لم اجرؤ على مخاطبتك ، ورغم هـذا كنت سعيدة ...
أحس روحك في قلبي واسمع همسك في اعماقي ...

●

ولـكن حين ضغطت بيدك الحـارة ، يدي المرتجفة .
وحين انتابت جسدي رعشة خفيفة .
وحين اكتسى جبيني بحمرة محرقة .
يا الهي ! بمَ كنت اشعر يومئذ ؟ ؟

●

لقد نسيت ان اهرب منك ، نسيت ان اخشاك
والمرة الاولى تجرأ فمك على شكوى الزمن بقبلة ...
والمي تجرأ فصرح لألمك بحقيقة .
واصبحت روحي على اهبة السريان الى روحك .

●

انا اذكر ، فهل تذكر انت يا حياتي ؟
ذلك الهم المضمخ باللذة
حين قلت لي وانت في قمة حبك وحزنك
« ان كنت اتألم الآن .
فلأن النعيم موطن الالم الخالد !!!

●

لم يعكر اعترافك غير اعترافك ، صفو الغابات
وكان يومنا ذاك ، بين ايامنا ، اجملها واصفاها
وكأنه عند انطفائه ، في المجهول ، توقف عند نفسينا
فغمرها باللذة والسكون والاشعة الحالمة .
ولـكن اختفاءه في اعماق الافق القاتم
تنبأ لي باختفائك انت .
لقد رأيت اشعة النهار الاخيرة
تموت بين الغيوم .
وهكذا ، في قلبينا المحطمين
الى الابد .

لم تبق الا صورة الحب الغابر .

***

هذه قصيدة « مارسلين » في نزعتها الخريفية تلك مع حبيبها ذي القلب البرونزي وهي كما ترين ، قد عرفت الحب فبوسعك إذن ان تقرأي اشعارها ، فتـكون خير رسالة اليك مني ، حول هذه المرأة التي لم تخمد السنون جذوة حبها ، بعد ان اودعتها القوافي والقصائد الرائعة الخالدة اقرأي هذه القصيدة التي كأنها كتبت لتوجه اليك يا عزيزتي :

« الى اخواتي الباكيات »

إليكن شعري يا راهبات الالم المجهولات .
انتن اللواتي لا اعرفكن
الالم حبب الي صوركن الشاحبة .
فصرتن اخواتي .

●

احلامي الهادئة البطيئة تسمو اليكن
وتحوم حولكن .
انتن حلاوة دموعي المريرة .

●

يا باكيات على خرائب هذا العالم
حيث مررت مجهولة مثلكن
زرن قبري ، واندبن على رمادي .
واغمسن قيودكن الحديدية في حفناته الحرة

●

تغنين ! فغناء المرأة يخفف العذاب .
اجبن ! فالحب يكسب السهاد المحتوم لو نا إلهياً
احسن الى الفقراء . فالصدقة اصل الامل
وإنه لا يخلد في هـذه الحياة سوى الحب والرحمة !

●

وان كانت ربة الشعر الالهية .
لم تهبط على افئدتـكن
ولم توقظ ازهاركن الذابلة .
ولم ترسل في الاجواء ، انات الـكمان الجريح الصادح بالامل والحياة .

فاقرأن قصائدي ولا تنكرن ضعفها .
وهل تنكرن على الطائر الغريد اناته الطوال »

***

لا شك انك شعرت بأن تعليقي على قصائد هذه الشاعرة يحجب عنك صورة اخت لك . ولذلك ساتركها تترنم كما يحلو لها ، فتغنيك ، وتواسيك ، واكون عندها قد انجزت واجباً وجدت صعوبة في القيام به ، انا الاناني ، اي الرجل :

شعرت مارسلين اذن بفراغ الـكون مما تؤمله من الحب وتنشده من السلوان ورأت الـكون يتلهف على قطرة حنان في فدفده القائظ ، وجروده اللاهثـة ، فتطلعت شطر الحب . فأخفقت في تجاربها وعلاقاتها ، وهـا هي تنقل عينيها الى الطبيعة ، فترى اتسـاء نزهة من نزهاتها الرومنطيقية ، بلبلا اعمى ، يمثـل حالة ثانية من حالات يأسها وقنوطها . لقـد رأت نفسها في « بلبلها الاعمى » هذا ،

وقد باعدت بينها وبين نور الحب نوائب الاقدار :
اسمعها في قصيدتها
« البلبل الاعمى »
يا بائساً نفيت من الاجواء ...
وقصت أجنحتك .. وأزيل نورك
آه ما أحلك البؤس الذي دفعت اليه !!
أي ليل أليل يغمر جفنك الضرير !!
وأية كآبة تخيم على أغانيك المعذبة

●

ايها الطائر المسكين ...
لقد نفذت الى نور عينيك لمة محرقة .
تجففته ورمتك في الظلمة السرمدية .
ولاشت الالوان من مقلتيك .
في مخيلتك البائسة تدور الدموع والآهات دون انقطاع .
وانت لا تدري كيف خلق الله
الليل بطيئاً كما تحسه

●

ومع هذا فلا زال الله يولج النهار في الليل
ويولج الليل في النهار .



كلا ان ليلك الحالك ليس من صنع يديه .
ففي عهدك الغابر شق سماء جديدة
لعينيك المترعتين بالحب
ان طيرانك الخابط بين الاغصان يؤذيه
لانه ابو الرحمة ، وموئل الحنان

●

قلبك المنطفىء يضيء بالله وبالامل
والقبس الذي يشعله في جوك القاتم .
يدفعك الى ان تحلم بالفجر وبأنجمه البيض وبتموجات الماء المتدفقة بين اغصان الغابات التي لن تراها ابداً .

●

ولا زلت تتغنى بالغابات لانك لا زلت تحياها
انت تغني، لان انفاس الطير معناها الغناء.
ولكن أواه ! كم ينقصك للتعبير عن السأم الذي يتأكل أحشاءك
وعن روعة الفجر فوق التلال الوردية المخضوضرة
آه كم ينقصك من رنات وألحان !

●

وهل يقدر قلبك ، وهو قلب عصفور
ان يتدفق بكل تلك الرنات الباكية
تتولد فيه ثم تطفح عن جوانبه .

●

آه حين كانت الحرية تتنفس في اغانيك
الى اي مدى كان جناحاك يحملانها في السموات العميقة .

●

ماتت اغانيك فالالحان صامتة .
والحقل اقفر ... والوديان قد هجعت .
ورناتك العذبة لن توقظ بعد الآن
زهرة الربيع الشاحبة ...
التي تموت دون ان تتلقى قبلات الشمس
انك لا تعلم اي كوكب ينيرك بفيضه السماوي
وانك لتشرب كؤوس العذاب دون ان تحسها
لأنك ، في سهادك اليائس

لا تشعر بمرور الزمان .

●

لن تسكب بعد الآن صلاتك على الوردة .
ولن تغمس صوتك في النار التي ترويه .
وانفاسك الفائحة بالعطر والبخور
لن تسمو بالحب ولن تختمر بعد الآن في قلوب العاشقين
وانك لتندفع نحو جدران قفصك الرهيب
فيصدم بها قلبك المعذب في ياس !
ويضحك الناس ساخرين من بسالتك الجوفاء .
التي تحاول ان تحطم قيود العبودية .
ومن بين القضبان الحديدية الثابتة
التي ليس لك ان تنزعها
والتي كانها اعماق قبرك الحالكة
ها انت ترسل صرخة شجية بطيئة .

●

انها تعبر عن آلامك التي لا يصغى اليها
قلب في هذه الدنيا .
بل تسمعها آذان المجهول ...
هناك .. في اعماق السماء ..

●

ان عينك الجوفاء لا زالت تحدق
لتحيي الفجر الآلهي
الذي لا يستطيع الانسان ان يطفيه

●

فتغن بالحرية ايها السجين فان الله يسمعك
وهيا فلنغن معاً امامه
لقد صورت سعادتي الماضية فابدعت
وها انا اصور انات العذاب

●

تغن اذاً بعذابك العميق
وانفرادك في صحراء الناس
ووحدة الدار وهجر الرفاق
وعبر عن آلام هؤلاء البؤساء
الذين زالت الحرية من وجودهم
فهم لا يعرفون عنها الا اسمها

ولكن غناؤك اليائس
كالماء في الوادي
يغمر أيامك المربدة العاصفة
التي جف معينها
يغمرها ويظللها بنفحة من حبور .

●

انتهت قصيدة « البلبل الاعمى » . وهي قصيدة لا تعني ان شاعرتها وجدت الخلاص في حركة تأس ابداعية او وجودية تصور لها الآلام التي تعتري اليائسين والمعذبين في الارض ، انها لم تتخلص من شبح الحب وقتاده . بل كانت تعود احياناً ، فتذكر حبها ، وتحاول ان تخفف بالصلاة ، حدته وتأوجه وضراوته . ولكن السماء تهمس لها باصوات خافتة غامضة ، وتصدح من اعماقها دفعات الوجدان مجلجلة داوية :

●

اسمعها في قصيدة « العودة الى الكنيسة » تقول :

اي كنيستي ، ايتها الكنيسة التي سالت منها اشد الامواج حرارة وأحفلها بالعذاب
إنها امواج خاطفة سريعة
من الدموع والنيران

●

منك ايتها الكنيسة انطلق صباي الاشقر
صباي المرتعش الشرود
حاملاً إثر اغانيك المقدسة
ولكنه لم ينطلق كله الى الله

●

ايتها الكنيسة التي تنم كل بلاطة في ارضها
عن يوم من ايام حبي
حين كان ملاك الحب يطاردني
في اروقتها المقدسة الالهية

●

ايتها الكنيسة التي كانت تمر فيها ساعاتي
متسارعة كأنها علقت باجنحة النسور .
وتلتقي فيها روحي ساعة اتناول الماء المقدسة
بروح حبيبة تنعكس فيها آمالي
وبيد كنت اتجنبها في غير ذلك المكان .
افتحي ابوابك ايتها الكنيسة .
وهيئي سلاسلك اللينه المتينة
لاقيد بها قلبي المتوثب بسعير الحب .
افتحي ابوابك
فلم يعد يطاردني
سوى شبح نفسي وشبح الحياة
وها انا اترنح من الاعياء
بروحي الحائرة وجسدي الظامىء

●

افتحي ! فانا حزينة جريحة .
وحدي اختبىء تحت جناحي المهيض
سرت في طريق الحياة
فلم احس ورائي وقع الخطى
او همسات روح تناجيني !
افتحي يا كنيسة صباي !
ولكن لا تجزعي .
فسيطالعك وجه غريب عليك
فلا تغرقي
انك لن تسمعي الصوتين المتمازجين المعهودين
بل ستسمعين صوتاً واحداً
ينتحر متلاشياً في صمتك الحبيب .

***

واسمعها في قصيدتها « الاكليل الداوي » تقول وهي في قمة العذاب والايمان :
سأمضي حاملة اكليلي الذاوي
الى حديقة ابي حيث يعود الرواء
الى كل زهرة يابسة ذاوية .
وهناك اجثو واصلي من اعماق روحي
إن لأبي أسراراً يحتفظ بها لخلاصنا .

●

سامضي ، سامضي لاقول له ، بدموعي
بدموعي إن اعوزني الكلام
انظر ! لقد تألمت ! وسينظر الي
وسيعرفني رغم شحوبي الخالي من السحر
وقسماتي الذاوية المصفرة
وسيعرفني ، لأنه أبي

●

وسيقول : هذا أنت - اذن - ايتها الروح المعذبة .
لقد تزعزعت الارض تحت خطاك التائهة
أيتها الروح اليائسة ، انا الله
فقري عيناً واطمئني
هذا بيتك ، وهذا قلبي ، فادخلي »

●

يا لرحمتك وحنانك ايها الملاذ المقدس
أيها الوالد الرحيم
لقد أصغيت الى بكاء ابنتك
وها أنا قد نلتك لانني آمنت بك
وانك لتمتلك كل ما فقدته في حياتي

●

إنك لا تنبذ الزهرة التي زال رواؤها
فهذا الذنب الكبير على الارض
هين يسير في السماء .
وإنك لا تلعن ابنتك الجاحدة
التي لم تبخل على حبيبها الوحيد بشيء !

***

هذه بعض قصائد الشاعرة مارسلين ديبورد فالمور ، نقلتها اليك لكي لا تحسي بعد الآن « بأثقال المدينة وبناياتها الشاخة تزرح على صدرك اللاهث المضنى »
وإنني اكره النصيحة واكفر بها ، ولكن ساجأ الآن اليها ، فاتمنى عليك ان تنصرفي الى الحياة ، فتؤثرين الغنى على الفقر ، والعمل على اليأس ، فتنثرين ما تجمعين في نفسك من روح ، حين تتطلعين على قصص أخواتك المعذبات « راهبات الالم » اللواتي تطاردهن أشباح نفوسهن واشباح الحياة .

**محمد عيتاني**

# نبذة من كتاب «عبقري في الاسرة»

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

**هو** « سير حيرام ستيفنس مكسيم » ١٨٤٠ - ١٩١٦ . كان مهندسا بارعا صاحب اختراعات . وكان كبيراً لمهندسي شركة الاضاءة الكهربائية في الولايات المتحدة الامريكية . وهي أول شركة من نوعها في تلك البلاد .

سافر في عام ١٨٨١ الى انجلترا . واصبح فيما بعد من رعايا بريطانيا . وأنشأ في عام ١٨٨٤ « شركة مدافع مكسيم » .

وفي عام ١٩٠١ منحته الملكة فكتوريا لقب « سير » .

وكان أخوه « هدسن » . كما كان ابنه « حيرام برسى » مهندسين كهربائيين . وكانا كذلك من المخترعين .

و « حيرام برسى » هو مؤلف كتاب « مكان الحياة من العالم » وكذلك هو مؤلف كتاب « عبقري في الاسرة » الذي ننقل عنه هذه النبذة. والعبقري الذي يشير اليه المؤلف هو والده «سير حيرام مكسيم».

***

قال الكاتب :

... واليك مثلا آخر يبين لنا ما كان يتحلى به والدي من خلق الدؤوب والمثابرة ، وعدم النكوص عن بلوغ الهدف . لا تهوله الصعاب ، ولا تصده العقاب مهما يقتضيه ذلك من وقت ، وجهد ، ومال

كان والدي في باريس . وقد ذهب يوماً الى احد البنوك ليدفع ثمن بضاعة اشتراها نقوداً ذهبية . واخرج الجنيهات الذهبية ووضعها فوق منضدة ليعدها . وكان ذلك في أحد مكاتب البنك في الطابق الثاني من بناية تقوم في احد شوارع باريس الكبرى . وما ان تم عد النقود حتى اندفع رجلان غريبان ، وفي حركة بالغة المهارة جرف احدهما المال كله . والقاه في غيابة كيس . وجرى الى ارض الشارع . وطفق زميله يمثل دور من يريد ان يلقي القبض على اللص السارق . ولكنه بدا يقلب الكراسي فوق بعضها . ويخلق جوا من الاضطراب والفوضى . فأعاق ذلك والدي عن اللحاق باللص . ولما بلغ والدي ارض الشارع كان اللص السارق قد غاب في زحمة الجماهير.

وكان المبلغ المسروق مبلغاً ضخماً. ورفع والدي الامر الى رجال الشرطة في باريس . وكان هو يقيم يومئذ في لندن اقامة دائمة . ولكنه ظل اياماً عديدة في باريس يبذل اقصى الجهد . ويعاونه في هذا رجال الشرطة سعياً وراء اللص وشريكه . ولكن سعيهم ذهب سدى . فاضطر والدي ان يكف عن المطاردة وان يعود الى لندن .

ولما كنت اعرف والدي حق المعرفة فاني مستطيع ان اصور حالته النفسية يومذاك فهو قد غلب على أمره . ولذلك فقد اقسم ليقضين حياته كلها في البحث الذي لا ينقطع عن ذينك اللصين اللذين جعلاه ضحية من ضحاياهما . ولتبقين عيناه مفتوحتين تستعرضان كل غاد ورائح حتى تظفرا بطلبهما .

وانقضت ست سنوات . وكان والدي عائداً من لندن الى باريس . وفي احدى محطات السكة الحديدية الفرنسية - وهو في طريقه الى الباخرة الراسية في ميناء كاليه - ذهب ليشرب قدحاً من الشاي السخن . وقد وقف في المحطة قطار وجهته باريس . فاجتمع حول الموقد خلق كثير يستدفئون . فتفرس والدي في وجوههم . وكان التفرس قد اصبح له عادة منذ سرق . وما راعه الا ان رأى احد غريميه وسط الزحام . ولما كان في لجوئه الى البوليس تضييع للفرصة فقد انقض على الرجل وامسك بتلابيبه . وصاح يطلب النجدة . وقام بينه وبين اللص عراك فظيع.

وتفرق الناس كل الى وجهته ولم يعد احد منهم الى والدي بداً على الرغم من صراخه مستنجداً. وفي أثناء ذلك تحرك القطار المتوجه الى باريس وتبعه القطار الذي كان والدي قد اعتزم السفر فيه. ولجأ اللص الى آخر حيلة في جعبته كأنجع وسيلة من وسائل النجاة ، وهي انه قد خرج من ثيابه ، وبذلك انفلت من قبضة والدي، وجرى هارباً من المحطة ثم انسل الى الرصيف وتسلق سلم آخر عربة من عربات القطار .

ولم تصرف هذه الحركة والدي عن بغيته بل لحق باللص، وحاول ان يمسك بأحد اعمدة العربة الاخيرة، وما إن فعل ذلك حتى دخل القطار نفقاً من الانفاق، وهناك حاول اللص ان يكيل لوالدي الضربات في وجهه وذلك ليصده عن اللحاق به، ولكن الظلام قد أعاقه عن بلوغ امنيته ، وكانت هناك امرأة تجلس في آخر المقاعد فلما رأت العراك صاحت وصرخت وجاء على صراخها حارس القطار فوقف القطار، وهذا اقصى ما كان يبغيه والدي، وعندئذ امسك باللص وأنزله من القطار واشبعه ضرباً ولكماً.

وسرعان ما تجمع الناس واعانوا والدي على ان يعود باللص الى المحطة .

## استغراق

☆

لصفاء الحيدري

بغداد

•

شيء من الشك
يكاد ان يصرخ بي ، يكاد ان يبكي
يسألني عنك
عن ذلك النور بشباكي يمد في الظلماء أجفانه
يسأل في الليل شموع الرؤى أين ترى خبأت اكفانه
عن أمسه الغارق في حلمه عن ذلك الهارب من يومه
يهزه التأريخ من نومه
عنا كلانا ، عن امانينا ينسجها الوهم بأيدينا
وتهجع الارض ، فلا صوت كأنما يلفها الموت
كأنما الدنيا وما فيها خطيئة تدفن ماضيها



وحدث والدي فقال إنه في هذه المرة لم يتخل عن الرجل ولم يشرك في القبض عليه احداً. وجيء بالبوليس ، وانزل متاع والدي من القطار ، وذلك ليستوثق من ان الرجل قد أطبق السجن عليه أبوابه، ثم سعى سعيه فنقل اللص الى سجن باريس، وترك والدي كل اعماله ليفرغ للص ومحاكمته ، ذلك أن جمع الشهود كان يستلزم قضاء اسابيع . كما كان تحضير القضية يستدعي مالا جماً ، ولكن والدي كان يرى في الحكم على اللص متعة له ما بعدها متعة .

واخيراً حوكم الرجل وحكم عليه بالاشغال الشاقة سنين عدداً يقضيها في مستعمرات المجرمين .

ثم مرت سبع سنين ، وفي ليلة من ليالي الخميس كان والدي يقضي ساعة من ساعات فراغه في «قصر البلور» في لندن، وخيل اليه انه بصر بغريمه الثاني في مشرب من مشارب المرطبات. فلما بلغ والدي ذلك المشرب كان اللص قد غاب عن الانظار، وراح والدي يتحدث الى فتاة المشرب ، ولكنه لم يظفر بما ينقع غلته من انباء الرجل، وظل يحوم حول المكان حتى حان موعد الغلق ، ولكن الرجل لم يعد .

وفي اليوم التالي غدا والدي الى بوليس سكوتلنديارد فأرسلوا رجالهم يرقبون المشرب، وكان والدي يشاركهم الرقابة ولم تأت رقابتهم بخير حتى صباح الجمعة .

وعند منتصف ليلة السبت ـ وكان والدي قد انتابه قلق شديد بل كان قد قطع الامل ـ أبصر باللص يدخل المشرب فاشار اليهم فانقضوا عليه وكبلوه بالقيود ، واعقب ذلك اجراءات معقدة طويلة لتسليم اللص الى الحكومة الفرنسية ، ثم تبع ذلك دور محاكمته أمام محاكم باريس. ولكن هذا كله لم يفت في عضد والدي فقد نذر ليمسكن عن كل عمل حتى تنتهي المحاكمة .

واستغرقت المحاكمة عدة اسابيع ، وحكم على اللص بالنفي الى المستعمرات النائية التي اعدت للمجرمين .

ومن ثم ترى دؤوب والدي ومثابرته حتى ظفر بغريميه اللذين سرقا ماله ، فقد ظلت المطاردة ثلاثة عشر عاماً لم تلن فيها قناته ، ولم تهن فيها عزيمته ...

القاهرة — مبارك ابراهيم

# مقدمة لدراسة الشخصية

بقلم ابراهيم العريض

## ٢ – نظرتنا الى الحياة

**العامل** الوراثي: قلنا ان الانسان ينظر الى ما حوله اما متفائلا او متشائما، تبعاً لنظرته الذاتية الى الحياة. فهذه النظرة تتحكم في شعور الفرد اكثر من تحكمها في ارادته. وتلون دوافعه على العمل – في المجتمع – اكثر من اثارتها هذه الدوافع. اذ انه يكون بتفاؤله منبسطاً لما تجود به الحياة. كما يكون بتشاؤمه منقبضاً عما تتطلبه الحياة. وان بقي حيث كان لا يبدي حراكا.

فهل مرد هذا الانقباض والانبساط اللذين يلونان نظرتنا الى الحياة بلونها القاتم او الزاهي يعود الى عوامل وراثية، لا سلطان لنا عليها؟ قد يظن ذلك لاول وهلة. ولكن بعض الذين مضوا يحللون انقباض النفس او انبساطها الى عواملها الاولى وجدوا – بعد التتبع – ان الاحساس بها ليس لعامل الوراثة دخل كبير فيه، او تحكم جائر عليه. فالذي يؤيده واقع التجارب – عند هؤلاء – وتدعمه دراسة شواهد السير في كل جيل، للنوابغ الذين ينشأ ابناؤهم بلهاً مثلا او بالعكس هو ان المواليد تولد حيثما يقدر لها ذلك، في العراء او تحت السجوف المرخاة. وفيها جميعاً قابلية فطرية تكون متكافئة للتجاوب بهذين الاحساسين. دون رجحان كفة احدهما على الآخر منذ اللحظة الاولى التي يتنفس فيها الوليد.

فاذا كان الامر كذلك فهل الذي يرجح هذه على تلك. او تلك على هذه. ويجعل احد اللونين في نظرة بعض الناس الى الحياة صفتها الغالبة. هي عوامل تتصل بالمحيط الذي ينشأون فيه اطفالا؟ لا نستبعد ذلك. فالظروف القاهرة التي تتحكم في تطور نشأتنا منذ الساعة التي نولد فيها، او قبل ذلك قليلا، هي التي تختم على طينتنا بختمها الى ابد الآبدين.

ولا نعني ذلك ان عوامل الوراثة لا دخل لها في تكوين الرجل، او المرأة. وانما نعني ان هذه العوامل الوراثية لا تتجاوز الحلقة، فلا تتعداها الى الخلق. ولم تكن حقيقتها خافية على الاقدمين، فقد روى ابو عبيدة:

تزوج رجل من بني عامر بن صعصعة امرأة من قومه. فخرج في بعض اسفاره ثم قدم وقد ولدت امرأته وكان خلفها حاملا. فنظر الى ابنه فاذا هو احمر غضب، ازب الحاجبين. فدعاها وانتضى السيف وانشأ يقول:

> لا تمشطي رأسي ولا تفليني وحاذري ذا الريق في يميني
> واقتربي، دونك اخبريني ما شانه احمر كالهجين
> خالف الوان بني الجون

فقالت تجيبه:

> ان له من قبلي اجداداً بيض الوجوه – كرماً – انجادا
> ماضرهم – ان خضروا اجداداً او كالحوا يوم الوغى الانداد –
> الا يكون لونهم سوادا

ففي هذه الحادثة كما رواها القالي في اماليه – على قدمها – لمحة واقعية لكل ما يمكن ان يقال في تعليل العوامل الوراثية ... ومدى سلطانها في الحياة.

***

**الانفعالات** الاولى: يبدي الطفل – كل طفل – منذ اسابيعه الاولى نشاطاً ملحوظاً، حال صحته. وذلك بالانقباض تارة والانبساط طوراً، الانقباض عما يؤذيه، والانبساط لما يؤنسه. ثم تأخذ عوارض هذا الانقباض او ذاك الانبساط تتوضح ملامحها شيئاً فشيئاً. وكأنما تستكمل دائرتها – بعد زمان – فاذا هي كما حققها هؤلاء المحققون لا تتجاوز بمظهرها في الحالة الاولى الاحساس بالخوف. متدرجة منه الى النفور. او الغضب. او الغيرة. او الكبرياء. كما انها لا تتجاوز بمظهرها في الحالة الثانية الاحساس بالاطمئنان والتدرج منه الى العطف او الرضى او الشفقة او التواضع.

فهل معنى هذا ان الخوف عند الطفل ـ وهو اول شعور سلبي يجابه به الحياة كلما اخذته زلزلة ـ يبعثه على الانقباض؟ اذا كان هذا صحيحاً ، وهو صحيح ، فكذلك يفعل ـ بعد ذلك ـ شعوره بالنفور اذا صد عما يكره. وكذلك يفعل شعوره بالغضب اذا قطع عليه عجزه السبيل. وكذلك يفعل شعوره بالغيرة اذا ثار على ضعفه. وكذلك يفعل شعوره بالكبرياء ـ في آخر الامر ـ عندما يضيق بمن دونه صدراً. فكل هذه الاحاسيس لا يمكن ان تدفعه ـ مجتمعة او فرادى ـ الا على الانقباض.

فلا نستغرب مقابل ذلك اذا وجدنا شعور الطفل بالاطمئنان ـ من الناحية الايجابية ـ عندما يجد الاستقرار باعثاً له على الانبساط. كما يفعل شعوره ـ بعد ذلك ـ بالعطف اذا انجذب الى ما يستهويه. وكما يفعل شعوره بالرضى اذا لمس الدليل على قدرته. وكما يفعل شعوره بالشفقة اذا آنس من نفسه التفوق. وكما يفعل شعوره بالتواضع ـ آخر الامر ـ اذا افسح الصدر لمن دونه. تدفعه كل هذه الاحاسيس ـ مجتمعة او فرادى ـ على الانبساط حتماً.

فلنعد من جديد الى حدود تعريفنا حرصاً على الا يبقى في ذهن القاريء الكريم اثر مشوه لأية صورة رسمناها ، توقعنا معه في الاشتباه. فلقد رأينا كيف ان جميع النفوس في نشأتها الاولى تكون ذات قابلية للاستجابة بهذه الانفعالات ـ من ناحيتها السلبية والايجابية ـ على السواء. ويكون معنى هذه الانفعالات في دورها البدائي ـ اي قبل ان يتداخل فيها المجتمع ليزيدها في حياة الافراد تعقيدا ـ هو كما يأتي :

فالخوف : هو ما يشعر به الطفل اذا تزلزل به مركزه.

والنفور : هو ما يشعر به بعد ذلك اذا صد عما يكره.

والغضب : هو ما يشعر به بعد ذلك اذا قطع عليه عجزه السبيل

والغيرة : هو ما يشعر به بعد ذلك اذا ثار على ضعفه.

والكبرياء : هو ما يشعر به اخيراً اذا ضاق صدراً بمن دونه

هذا في الحالات السلبية ، اما في الاحوال الايجابية التي تقابلها فان ...

الاطمئنان : هو ما يشعر به الطفل اذا امن على مركزه.

والعطف: هو ما يشعر به بعد ذلك اذا انجذب الى ما يستهويه

والرضى : هو ما يشعر به بعد ذلك اذا لمس الدليل على قدرته

والشفقة : هو ما يشعر به بعد ذلك اذ آنس من نفسه التفوق

والتواضع : هو ما يشعر به اخيراً اذا افسح الصدر لمن دونه

ولا اظن ان الحال يختلف عن ذلك عند الكبار كثيراً. الا ان يكون في الدرجة ، لا النوع ، من جراء التعقيد الذي يفرضه المجتمع عن اشتباك المصالح والاحوال.

فهذا النابغة ـ مثلا ـ يقول :

مهلا ! فداء لك الاقوام كلهم وما اثمر من مال ومن ولد
لا تقذفني بركن لا كفاء له وان تأثفك الاعداء بالرفد
فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما اريق على الانصاب من جسد
ما قلت من سيء مما اتيت به اذن فلا رفعت سوطي الى يدي

فماذا وراء قوله غير الشعور بالخوف. وهذا آخر يقول :

اصرميني يا خلقة المجدار وصليني بطول بعد المزار
فلقد سمتني بوجهك، والوصل، قروحا أعيت على المسبار
ذقن ناقص، وانف غليظ وجبين كساجة القسطار
طال ليلي بها، فبت انادي: يا لثارات مستضاء النهار!

فهل ترى مبلغ شعوره بالنفور.

وهذا عمرو بن كلثوم يقول :

بأي مشيئة عمرو بن هند ترى انا نكون الارذلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا.. وأوعدنا .. رويداً متى كنا لأمك مقتوينا

فهل ترى كيف يثور به الغضب. وهذا ابو ذؤيب يقول :

رعى «خالد» سري.. ليالي نفسه توالى ـ على قصد السبيل ـ امورها
فلما تراماه الشباب وغيه وفي النفس منه فتنة .. وفجورها
لوى رأسه عني ، ومال بوده أغانيج خود .. كان فينا يزورها
تعلقه منها دلال .. ومقلة تظل لأصحاب الشقاء تديرها

فهل ترى كيف تستفزه الغيرة. وهذا محمد بن الفضل يقول وقد اصيب بالنقرس:

اشكو الى الله ما اصبت به من ألم في انامل القدم
كأنني لم أطأ بها كبدا من حاسد ، سر قلبه ألمي

فهل ترى كيف انه لم يتخل عن كبريائه حتى في مثل حاله.

ومن الجهة الثانية هذه جليلة بنت مرة تقول :

يا ابنة الاعمام ! ان لمت .. فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انت تبينت الذي يوجب اللوم ، فلومي .. واعذلي
ان تكن اخت امريء ليمت على شفق منها، عليه، فافعلي
جل عندي فعل جساس، فيا حسرتي عما انجلى.. او ينجلي

فهل تلمس في قولها تواضع نفس كريمة.

وهذا معن بن اوس يقول :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه ، وهو ليس له حلم.
اذا سمته وصل القرابة ، سامني قطيعتها ، تلك السفاهة والظلم
يحاول رغمي .. لا يحاول غيره وكالموت عندي ان يحل به رغم
فما زلت في ليني له ، وتعطفي عليه ، كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن، حتى استللته وان كان ذا ضغن يضيق به الحزم

فهل تحس بحافز الشفقة وراء كلماته. وارجو ان تجعل



# ربيع

❖

.. إنثري يا غيوم، فتات كبدي الممزق الذبيح،
.. وابتلعي يا أجواء، حشرجات قلبي المحتضر،
.. واندبي يا رياح، جذوة متقدة،
ولدت مع تثاؤب الفجر
ثم ودعت الحياة، مع زفرات المغيب !..

***

.. أيتها الحقول المتعطشة ...
أيتها المروج الكئيبة ...
.. ان لي بين دموع الآفاق،
نتفاً من نفسي الذبيحة،
وأشلاء، من قلبي المحتضر،
.. فاحتضني يا حقول،
تلك الرفات المضمخة بعبير الألم،
وارشفي يا مروج، بقايا نفسي الغاربة،
ثم استجيبي لرغبات روحي،
لتحيا .. عند يقظة الربيع، وتفتح الورود !!.

***

وسيذكرني الجدول الشادي،
بترانيم أمواجه الزرقاء،
عند منعطفات الحقول الخضراء ..
بينما تتعالى الاطيار، وأسراب السنونو،
في الآفاق القدسية الحالمة،
.. مترنمة بأهازيج الربيع،
.. مناجية تمتمات الجنائن والمراعي !..
.. نشوانة بالحان النسائم المنعشة
المحملة باريج الازهار، وعبق الطيوب !..

دمشق — سليمان عواد

البيت الرابع على بالك، فلنا اليه عود عن قريب.

وهذا عمر بن معد يكرب يقول:

ولقد اجمع رجلي بها حذر الموت، واني لفرور
ولقد اعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير
كل ما ذلك مني خلق وبكل انا في الروع جدير

فهل ترى كيف يبلغ به الرضى مبلغاً يحسد عليه.

وهذا نصيب يقول:

ولولا ان يقال: صبا نصيب! لقلت: بنفسي النشء الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها اذا ظلمت فليس لها انتصار

فهل ترى كيف يقطر قوله بالعطف. وهذا مسكين الدرامي يقول:

ناري ونار الجار واحدة واليه - قبلي - تنزل القدر
ما ضر جاراً لي اجاوره الا يكون لبابه ستر
أعمى اذا ما جارتي برزت حتى يغيب جارتي الخدر

فهل يخفى عليك هنا - اخيراً - شعوره بالاطمئنان.

الا ترى ان الانفعالات التي يشعر بها كل هؤلاء لا تختلف عن امثالها في الاطفال. وانما الذي يفرق بين الحالين هو ما يسبغ المجتمع على هذه - دون تلك - من تعقيد. واذا كنا تناولناها مجردة من ملابساتها الاجتماعية. وعلى ابسط صورها فلم تكن بغيتنا بذلك الا الايضاح. كما انه كان في وسعنا الاستشهاد بابيات لشعراء معاصرين لولا انا خشينا من بعض اساءة التأويل. اما هذه الملابسات التي تزيد هذه الانفعالات البدائية تعقيداً فسنتحدث عنها اذا درسنا الحي كفرد في المجتمع يعيش راضخاً لنظمه او ثائراً عليها.

***

**الاخاديد**

وهنا لسائل ان يسأل: اذا صح ما تقدم فهل معناه، مرة اخرى، ان قابلية الطفل للانفعال بالشعور السلبي من خوف ونفور، وغضب، وغيرة، وكبرياء في اصل تكوينه، لا تقل عن قابليته للانفعال بالشعور الايجابي من اطمئنان وعطف ورضى وشفقة وتواضع. فتبقى هذه القابلية فيه سلاحه الذي زودته به الحياة للذود عن ذاته - التي يعبر عنها بكلمة « انا » - والمحافظة عليها في معترك الحياة ؟

هذا ما يراه من اخذنا عنهم انه اذا قدر للطفل ان ينشأ نشأة صالحة، في محيط لا يعرض نفسه الرطبة للانفعالات بهذا الشعور او ذاك، مرات او مرات، على حساب ما يعادل كفته في ميزان النفس. بحيث يترك فيها اخاديد لا تمحى على مرور الايام، تزلزل كيانه. فانه ينشأ انساناً سوياً يتصف بالاعتدال في كل اموره، ويا لسعادة المجتمع به وهناه.

اما اذا ابتلى في بدء نشأته بمحيط لا انسجام فيه. وتعاودته احداث لا ترحم . فانه يخرج منها انساناً قد فقد اتزانه . جريح النفس يحمل في طياتها بعض هذه العقد النفسية التي تلازمه طول العمر . وتعرقل كل خطوة يخطوها في سبيل الاستقرار ، لانه ـ عندئذ ـ لا يكون انفعاله امام كل حادث يهزه الا بالشعور الذي كان يطغى عليه ويتحكم فيه طفلا . وانما تكرر انفعاله بهذا الشعور ـ كالخوف مثلا ـ دون ذاك . في ظروف نشأته الاولى هو الذي يقضي على كل قابلية ـ كانت ـ فيه للاستجابة ـ بعد ـ بغير هذا الشعور ، حتى يصبح المسكين ولا تداعي لديه ـ كلما صدم بالحوادث ـ الا عن طريق هذا الاخدود ، مزلزل الكيان ـ فيا لبؤسه في المجتمع وشقائه .

وهذه نظرية ان تبسط فيها العلماء في مختبراتهم. فما احوجنا الى درس ذلك كله على ضوء ادبنا الحي .

***

**بين** الذكور والاناث : بقيت ناحية واحدة في هذه الانفعالات لم نتناولها بالشرح. ويحسن بنا ان نشرحها الآن . فالمفروض ان من الانفعالات ما يستأثر به ـ غالباً ـ جنس الذكور دون الاناث بحيث تصبح ـ بحكم الواقع ـ علماً عليهم ، لا عليهن . ويكون الحال في بعضها بالعكس . فهل معنى هذا ان الجنسين لا يتساويان امام الحياة؟ وان من الانفعالات ما لا يشترك فيه الجنسان ؟

لا هذا ولا ذاك . فالحقيقة كما يرى هؤلاء العلماء هي انه ليس ثمة حد فاصل بين الجنسين . يجعل المرأة كاملة الانوثة والرجل كامل الرجولة بالمعنى الشعبي . ولذلك قد نتجوز الحقيقة ونحن نتابعها اذا اعتبرنا بعض هذه الانفعالات من خصائص هذا الجنس دون ذاك لولا ان احتفال كل منهما يختلف عن الآخر بالحياة .

فاذا بدأنا برأس الخيط ، من الناحية السلبية .

الخوف ، النفور ، الغضب ، الغيرة ، الكبرياء .

كان الشعور بالخوف ـ عند هؤلاء ـ احساساً انثويا . وكذلك الشعور بالنفور وكلما ينتج عنها من عقد وكان الشعور بالكبرياء ـ من الطرف الثاني ـ احساساً ذكرياً . وكذلك الشعور بالغيرة ، وكل ما ينتج عنها من عقد ويقوم الغضب صفة مشتركة بين الطرفين .

كما انه من الناحية الايجابية .

التواضع ، الشفقة ، الرضى ، العطف الاطمئنان .

يكون الشعور بالتواضع ـ على راس الخيط ـ احساساً انثوياً . وكذلك الشعور بالشفقة ، وكل ما ينتج عنها من عقد . ويكون الشعور بالاطمئنان ـ من الطرف الثاني ـ شعوراً ذكرياً . وكذلك الشعور بالعطف وكل ما ينتج عنهما من عقد . ويبقى الرضى صفة مشتركة بين الجنسين .

وليس معنى هذا عندهم ان المرأة لا تشارك الرجل في الصفة . او ان الرجل لا يشاركها في تلك . وانما يفعلان ذلك ـ اذا فعلا ـ بالخروج على الطبيعة التي تحفز الجنسين . فتصبح المرأة اذا جاوزت طبيعتها الى الافراط ... مسترجلة . كما يمسي الرجل وقد خرج على طبيعته الى حد التفريط انثوي الشعور وانهما يفعلان ذلك في كل مجتمع تهدد فيه الاوضاع بالانقلاب الاقتصادي دون تقصد او اختيار .

واعتقد ان الاوائل كانوا على بينة من هذا الامر . فقد جاء في الموشح ان صالح بن حسان قال لجلسائه : اعلمتم ان النابغة كان مخنثاً !. قالوا : وكيف علمت ذلك ؟ قال : بقوله :

سقط النصيف ، ولم ترد اسقاطه فتناولته .. واتقتنا باليد

لا والله ما عرف تلك الاشارة الا مخنث !!

واعد النظر الآن الى بيت معن الذي وقفنا عنده .

فما زلت في ليني له ، وتعطفي عليه ، كما تحنو على الولد الام

لتدرك حقيقة الشعور الذي حفزه الى مثل هذا القول. وهو هو معن بن اوس الذي ضربت بحلمه الامثال. ومن هنا جاز ان نأخذ باعتبارهم. فبعض هذه الانفعالات انثوية، والبعض ذكرية على هذا الاساس لا غير .

ونحن نترك التبسط في الموضوع الى موضعه من هذه الدراسة

البحرين — ابراهيم العريض

# الشاعرة فدوى طوقان

بقلم عيسى الناعوري

☆

إذا حاول المرء ان يرسم صورة للشاعرة الموهوبة فدوى طوقان ، من خلال قصائدها العديدة التي شقت سبيلها الى الشهرة التي لن تموت،وجد أمامه روحاً رقيقة صافية تضج فيها الأشواق اللهيفة الحارة ، وشعوراً فواراً بالحنان والألم العميق ، وخيالا من عبقر ، ساحر الرفيف والرؤى ، غنياً بالتلاوين والصور.

أما عاطفة فدوى فموزعة بين الحب الذي يلون حياتها وقصائدها بألوان ، فيها الزهر وفيها الدم ، وبين الرقة التي تحس أدق الاحاسيس واروعها. وحبها أنواع : حب الأهل ، ولا سيما حب الأخ الحاني الذي يقوم لها مقام الملاك الحارس ، وحب الرفيق المرتقب الذي يملأ آفاق روحها ، وحب المجهول ، وحب الطبيعة وحب الانسانية الضعيفة المناضلة في جهاد الحياة .

وأما اشواقها فهي الدولاب الذي يسير سفينة حياتها في الطريق الى المجهول. ويا لأشواق فدوى ما أحرها وما اعمقها وما اغناها بالحنان ! إنها تخلق في نفسها الاوهام والهواجس ، وتلونها بالاصباغ العجاب ، وتحوك في خيالها الاحلام والرؤى التي غالباً ما تقطر بالدماء، وقلما تنتهي الى الطمأنينة الناعمة،وهي التي تنسج اغلب مواضيع قصائدها،وتخلق تأملاتها العميقة الجميلة.

واما الخيال فهو الموقد الذي تشتعل فيه اشواق فدوى واحاسيسها ، لتتحول الى نار لافحة لاذعة. وهو خيال خلاق ، ولكنه تعود ان يخلق الدموع والألم في الغالب، وهو يخلق من صورها أفانين والواناً ما اكثرها وما اعجبها وما اغناها .

واول ما تفجر ألم فدوى عميقاً حاراً حينما فقدت اخاها ابرهيم ، الذي كان لها اخاً وصديقاً في آن واحد ، وكان يغمرها بحبه وعطفه وحنانه ، وكان يقود خطاها بحلم ورفق في طريق الشاعرية ، ثم مضى عنها وخلفها اسيرة الدمع والأسى .

لقد كانت فدوى تجد كل سعادتها وراحتها وحريتها في قربه فلما راح عنها سفحت عليه من دماء قلبها ، ومن حنين روحها ما لا نكاد نجد في الادب العربي مثيلا له في حرقته ، فقد كانت في مراثيها الست التي نثرتها على قبره من اعصاب قلبها الطعين، اصدق وابلغ من عبر عن قلب لهيف ، وروح ملتاعة .

« اين مني أخي ؟ لي الله ! ما خلاه عني ؟ ما عاقه عن جوابي
ليت شعري، أخي ، لفقدك أشجى،ام لطفليك،ام لحظي الكابي؟
ام لام الطفلين لوعها الثكل ، فباتت في حسرة واكتئاب
دمعها من عصارة القلب . والهفي على قلبها الجريح المذاب !
ودعت بعدك المباهج والأفراح ، واستقبلت مقيم العذاب
لهف نفسي على نضير صباها ، ينزوي في الاسى وسود الثياب
حر قلبي « لجعفر » و « عريب » وهما يرقبان يوم الاياب
كلما استشعرا اليك حنينا ، هاج في الصدر من طويل الغياب
هتفا باسمك الحبيب وباتا رهن هم ووحشة وارتقاب »

ذلك بعض حرقتها في قصيدتها التي بعنوان « واشقيقاه » . ونحن نجد منها صورة اخرى تذيب صم الجلامد في قصيدتها « يا قبره » حيث تقول :

يا قبره ! بالله ما فعلت ايدي البلى بشبابه النضر ؟
تلك البشاشة، يا لرونقها ! هل غيضت في الترب والعفر؟
تلك الخلال، ولست أحصرها، تالله قد جلت عن الحصر
لهفي ! أباتت في التراب لقى يفنى ؟ معاذ خلاله الغر !
إني لاستنشي لها عبقا في الخافقين معطر النشر

واعمق من هاتين أسى ولوعة ، وابعد أثراً في النفس ، قصيدة « يتيم وام » ، وليس من السهل ان نقتطف من هذه القصيدة شيئاً ، لانها وحدة متماسكة بأبياتها السبعة والعشرين ، والاخذ منها يشوهها .

***

هذا عن ألم فدوى ، او حزنها ، في فجيعتها باخيها . وهناك ألم آخر نراه يتغلغل في نفس فدوى أسود قاتماً ، فيعكس ظلاله الدامية على أغلب قصائدها . وهو شيء غير « الحزن » ، وان يكن الحزن بعضاً منه . وهذا الالم هو تعبير عن شعور فردي ،

مبعثه الحرمان من دفء الحب .

ألا كم تهيمين في عالم تناءى بعيداً بعيداً مداه
وفي عمق روحك شوق ملح جوح لظاه ، عنيف ظماه

وليس عجيباً ان تتلون أحاسيس شاعرة ذكية ، مرهفة الحس كفدوى ، بالوان الدم ، وتصطلي بلذع الجمر ، فالمرأة ـ كل امرأة ـ هي كتلة من شعور ، والحب هو أملها في الحياة ، وأمنيتها الكبرى ، ومسرح روحها وعواطفها ، وهي لا تشعر بالاستقرار والطمأنينة الا يوم تساهم في بناء الحياة والكون ، بان يكون لها : رجل ، وبيت ، واطفال :

رجل تعيش الى جانبه في معركة الحياة ، وتسند الى ذراعيه رأسها عند التعب او في ساعة الوفاة .

وبيت تأوي اليه ، وتنظم اموره ، وتستريح فيه .

والطفال تبذل لهم حبها ، وتتعب في تربيتهم وتقديمهم للحياة.

وما دامت المرأة محرومة من هؤلاء جميعاً فهي لن تشعر بدفء الطمأنينة ، وحرارة السعادة ، بل تظل أشواقها تلفق لها في كل لحظة حلماً كله مواعيد وآمال، وقصة من قصص الوجد المحرق ، ولو انتقل الفردوس الى عش وحدتها .

وقد عبرت فدوى عن هذا المعنى في قصيدتها « في ضباب التأمل » ، وهي تستعرض مراحل حياتها ، فقالت :

وهنا شباب ما يزال يجوس قفراً إثر قفر
متحرق ابداً الى شيء ... الى ما لست ادري
تغذوه نيران الحياة لظى ، فيلتهب التهابا
ويهيم فوق دخانها متعطشا يقفو السرابا

ثم تضيف متسائلة في ألم اعمق من ظلمة ليالي الشتاء :

أيحس هذا الكون نقصا حينما اخلي مكاني
وأروح لم أخلف ورائي فيه جزءاً من كياني؟
ان كان غيري في وجودهم امتداد للوجود
صور ستبقى منهمو يحيون من جديد
فأنا سأمضي : لم اصب هدفاً ولا حققت غايه
عمر نهايته خواء فارغ ، مثل البدايه

إنه شعور كل امرأة ، وقد عرفت فدوى كيف تعبر عنه بصدق وحرارة ، لأنها شاعرة تعرف كيف تنقل حيوية حسها الى الالفاظ البكم ، فتنطقها بالحنان العذب ، والالحان المترقرقة.

ولكن الالم الذي تبعثه الاشواق الحارة في نفس شاعرتنا الرقيقة ، قد يصل احياناً الى اوجه ، فاذا هو يأس طاغ ، واذا الموت والقبور تفتح اشداقها ، وتطل بسحنها المرعبة من خلف ابيات قصائدها ، فمن ذلك قولها تخاطب قلبها المعذب :

مالك ؟ ما بالك واهي الوجيب تراك في كف النزاع الرهيب ؟
لا، لا تخف، فالموت احنى يداً مت يا صريع الغدر، مت يا كئيب
ارقدك الجاني على مهد
من زهر الآمال ممتد
لم تدر ان الجمر في الورد
والسم في نفح العبير الرطيب !

وقصيدتها « خريف ومساء » هي قطعة من تلك الظلمة النفسية الطاغية، والوحشة الروحية القاتلة : ظلمة اليأس، ووحشة الموت والقبور :

الخريف الجهم ، والريح ، واشجان الغروب
ووداع الطير للنور ، وللروض الكئيب
كلها تمثل في نفسي رمزاً لاتناهي
رمز عمر يتهاوى ، غاربا نحو الفناء
فترة ثم تلف العمر استار المغيب

***

ذاك جسمي ، تأكل الأيام منه والليالي
وغدا تلقى الى القبر بقاياه الغوالي
وي ! كاني ألمح الدود وقد غشى رفاتي
ساعيا فوق حطام كان يوما بعض ذاتي
عابثا في الهيكل الناضر ! يا تعس مآلي !

انها صور مرعبة تقشعر لها الابدان . ولو كان هذا الشعر المعذب شعر « رجل » ، لقلت : انه انسان يكفر بنعمة الحياة في نفسه ونفوس ابناء الحياة ، وليس من الفن ورسالته في شيء ان نعكس سواد آلامنا على غيرنا بمثل هذا الشعر الذي يقطر بالدم . اما وصاحبته « امرأة » ، وامرأة تعيش في الشرق المجرم الذي يثقل سجنها بالقيود والاقفال ، فهو تعبير صادق عن شعور هذا السجين البريء المعذب . وهل يمكن ان نسجن البلابل في الاقفاص الضيقة المظلمة ، ثم نقول لها : غني لنا ألحان الفرح والحرية !؟



اما هذه القيود والاقفال الثقيلة فقد أشارت اليها فدوى في قصيدتها « قصة موعد » اذ قالت :

فها انا بالدار ... ماذا ؟ فراغ ممد ، ووحشة صمت كئيب
وقفل ثقيل يعض على الباب كالوحش ، أبكم لا يستجيب
تمثل لي قدرا راصدا ، يحدجني بجمود رهيب !

بهذه الصورة المرعبة ، صورة الوحش الابكم الذي يعض على الباب بغير رحمة ، عبرت فدوى عن قيود المجتمع الثقيلة التي تغل حرية المرأة .

وانه لمن الانصاف ان اذكر ههنا ان فدوى تتمتع في بيتها وبين أمها واخوتها وأخواتها بكل رعاية حسنة ، وتعيش في جو عائلي كله مرح وحرية وفن . ولكن جمود المجتمع في

الخارج ، وتقاليده المجرمة هي ذلك القفل الذي تعنيه ، او الوحش الذي يعض على الباب ، كما تصفه .

على ان هذا الالم الذي تخلقه الاشواق المعذبة المخنوقة ، قد يتحول احياناً - وما أقلها ! - الى لحظات من الصفاء الرخي ، والشعور بالطمأنينة والتعزية . وهنا تاتي النفس أثقالها وتستريح الى رحمة السماء وعدلها .

ويتجلى هذا في قصيدة « طمأنينة السماء » ، تلك التي تطيل فيها الشاعرة من الحديث عن آلامها ومخاوفها وهواجس روحها الحائرة ، وقلبها القلق ، وتصور وقفتها في نافذتها بعد منتصف الليل ، تسرح الطرف في الظلمة الحالكة المنتشرة حولها ، فتجد شبهاً كبيراً بين هذه الظلمة الخرساء ، وكآبة نفسها العميقة الحالكة . ثم لا تلبث ان تظهر نجمة في وسط الظلام ، ثم تختفي حالا . وهنا يلمع الامل في نفس الشاعرة ، الامل بعدل الله ورحمته ، فتختم قصيدتها بهذا المقطع الجميل ، المستبشر ، المؤمن :

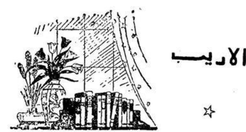
هناك غشتها طمأنينة علوية ما لمداها حدود
وصاح من أعماقها هاتف ينتظم الارض صداه البعيد :
« يا أرض ! أهواؤك مهما طغت وأقعدت خطوي بثقل القيود
يا أرض ! احزانك مهما قست وطبقت حولي مجالي الوجود
هيهات أن تلمس روحاً سرى فيها من الله ضياء الخلود ! »

ومثل هذه القصيدة الجميلة الحنون ، في تعزيتها الحبيبة للنفس ، نجد كذلك قصيدة « تهويمة صوفية » ، تلك التي تصف صوت المؤذن في الفجر ، وهو يدعو النائمين الى رفع قلوبهم الى الله ، لتتحد معه في سعادة وطمأنينة ، فتخشع لألحانه السموات والارض وسائر الكائنات ، وترتفع معها عاطفة مؤمنة خاشعة تحرقها الشاعرة امام عرش الله القدير ، فتقول :

انا يا رب قطرة منك ، تاهت فوق ارض الشقاء والتنكيد
فتى أهتدي الى منبعي الاسمى وافنى في فيضك المنشود ؟
ضاق روحي بالارض ، بالاسر ، بالقيد ، فحرر روحي وفك قيودي
ضمني ، ضمني اليك ، فقد طال انفصالي ، وطال بي تشريدي !

يا لهاتين القصيدتين ما أروع خشوعها وايمانها ، وما أنبل عاطفتها ! اني والله لا اعدل بها ألف قصيدة من تلك القصائد التي لا تحمل الى النفوس الظامئة رسالة الحب الاسمى ، والى القلوب المعذبة جمال التعزية والحنان . فليت سائر قصائد فدوى تنتهي الى مثل هذا السمو الروحي ، وهذه الطمأنينة المعزية ، بدلا من الاستسلام الى الالم المحرق ، والاسترسال الى الاشواق المعذبة ، والانات الملتهبة .

ان الالم الشديد لا يحرق الا اصحابه الذين يصطلون بناره ،

# الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

**الاشتراك العادى :**

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

**اشتراك الانصار :**

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استراليا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ / المنزل : ٣٧ - ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

والشعراء الذين كرسوا حياتهم له، لم يجنوا منه سوى عذاب ارواحهم، بينما لم يؤدوا بواسطته الى الانسانية تلك الرسالة الخيرة التي حملتهم اياها الحياة، واستأمنهم عليها واهب الحياة .

ونحن وان كنا قد تلمسنا الاعذار لهذا الالم الاسود الطاغي على قصائد فدوى، فنحن نود ان لا نعفيها من العتب، لانها بهذا الشعر انما تنشر من ظلمة آلامها على نفوس قرائها . والالم اذا استبد بنفوس امة اهلكها .

ان الشاعر لهو حمامة السلام في العالم، ورسالته هي ان يغرس الرجاء في النفوس، ويطبع الابتسامات على الشفاه، ويبعث الطمأنينة في القلوب . واذا كان يشعر بانه من نفسه في مأتم، فرسالته هي ان يبتسم في اعراس الناس، لا ان يبكيهم في مأتمه .

وفدوى شاعرة، وفي شعرها سحر قد يفعل الاعاجيب لو هي كرسته لترش به الامل والتعزية على طريق المتألمين السائرين حفاة على الاشواك والحجارة الحادة .

ان في هذا لتضحية ليس بعدها تضحية : ان يخفي الانسان آلامه العميقة تحت ابتسامة يطيب بها قلب أخ له حزين . ولكن هذه التضحية هي التي تجعل الانسان جديراً بانسانيته .

ثم ما هي الحياة، لكي يقطعها الانسان بقلب دام، وعين مقرحة بالبكاء ؟ وما قيمة العمر نقضيه بالزفرات والانين ؟ ان الذين يقولون انهم يجدون السعادة في الالم، انما يخدعون بهذا القول انفسهم وحدهم، فالحقيقة ان السعادة لا يشعر بها الا الذين يستقبلون الحياة، وكل ما في الحياة من خير وشر، بالمرح والضحك واللهو .

***

ونترك الآن حديث الألم ـ الألم المنفرد المستقل ـ لننظر في النواحي الاخرى التي تبرز في شعر فدوى، تلك النواحي التي تلون الشعر بالجمال، وتضفي عليه الروعة . ومن تلك النواحي : الخيال المحلق الخلاق، الذي يربط بين العوالم الخفية المجهولة، والعوالم المنظورة، برباط من نور، والذي يوشي شعر فدوى بالصور البديعة، والرؤى المتنوعة الساحرة . ومنها ايضاً : حب الانسانية المعذبة، وحب الطبيعة، والاندماج فيها، وجمال التأمل الذي يعتق الروح من قيود التراب، وينطلق بها في عوالم نيرة، كلها رؤى وأسرار .

وعلى الرغم من ان اخطبوط الألم يمد اظافره الى هذه النواحي كلها، الا أنه لم يعد ذلك الألم الفردي المعذب، بل هو شيء للانسانية، وللطبيعة، وللحياة .

لنأخذ مثلا قصيدة «مع سنابل الحقل» . إنها تجمع بين التأمل البعيد، وحب الطبيعة، والشعور بشقاء الانسانية، فتؤلف من هذه الثلاثة قطعة من الطف الشعر الانساني الذي يسمو بالنفس الى اجواء كلها حنان، وكلها ايمان، وكلها رقة رحيمة .

هوذا الشاعرة بين السنابل المتراقصة على صفحة الحقل، تتأمل جمالها وتماوجها، وتتابع بخيالها البعيد الادوار التي ستمر بها عن قريب : من يد الحاصد، الى البيدر، ثم الى الأهراء، ثم الى ان تتحول ارغفة تملأ بطون اصحابها، بينما الفعلة الذين شقوا بحصدها ودرسها لا ينالون منها حصة، على شدة حاجتهم الى شيء يسد الرمق .

وازاء هذا الظلم الأليم تقف الشاعرة الرحيمة لتبحث عن السر في غنى الاغنياء وحرمان المحرومين ... اهو ظلم السماء ام ظلم الأرض ؟...

أرحمة الله بعليا سماه تقول ان يكتظ جوف الثري
ويحرم الفقير قوت الحياه في عيشه المضطرب الأعسر ؟
أليس في قدرته القادره ان يمسح البؤس ويمحو الشقاء؟
أليس في قوته القاهره ان يغمر الارض بعدل السماء؟

وسرعان ما يجيبها الجواب :

فراعها صوت عميق مثير جلجل فيها مثل صوت القدر :
«لم تحبس السماء رزق الفقير لكنه في الارض ظلم البشر!»

إننا ههنا امام قطعة من الشعر الانساني : الشعر الذي تنسى فيه الشاعرة نفسها واشواقها وآلامها الفردية الخاصة، لتعبر عن شعور عام، شعور انساني سام لطيف . الخيال في هذا الشعر جميل، والتأملات عميقة صافية نبيلة، والالفاظ والعبارات جداول من الحنان الرحيم والعذوبة المنعشة . وهذا هو الشعر ... إنه الشعر الذي يؤدي الى الحياة رسالته، قدسية مطهرة .

وقطعة اخرى بعنوان «رقية» هي من وحي النكبة : نكبة فلسطين . و «رقية» هي امرأة لاجئة، تتغذى وتغذي طفلها الرضيع بأحزانها المقيمة، ونقمتها الحارقة، بعد ان فقدت عائلها وعائله في صراع الظلم وفداء الوطن .

القصيدة تبلغ ستة وسبعين بيتا . انها طويلة، ولكنها «شلال» من الألم المتفجر رحمة على تلك الانفس البريئة، تتشرد وتجوع وتعرى، وتذوق مرارة الترمل او اليتم، وكل ذنبها انه كان لها وطن قدسته وارادت ان تحميه، فتعاونت عليها

قوى الشر من كل جانب ، حتى اوصلتها الى هذا المصير الأليم . وهي ايضاً شلال من الصور الشعرية المعبرة والالوان المؤثرة ، والخيالات المترقرقة .

وتنتهي القصيدة الى الاستثارة العصوف ليوم الثار . فهاهي « رقية » بعد ان تطوف بخيالها الذكريات الدوامي ، ذكريات الرفيق الذي صرع في الجهاد الشريف وهو يذود عن قدسية وطنه ، نراها وقد ...

... فاضت لواعجها ، لا أنينا جريحا ، ولا عبرة زاخره
ولكن زعاقا من الحقد ، والبغض ، والضغن ، والنقم ، الغامره

وإذ يتململ طفلها الجائع في حضنها ، نراها وقد ضمته محمومة ثائره ...

ومالت عليه ، وفي صدرها ، مشاعر وحشية هادره
لترضعه من لظى حقدها ، ونار ضغائنها الفائره
وتسكب من سم خلجاتها باعماقه دفعة زاخره

ثم تمضي شاعرتنا في غمرة من الاحساس الوطني الفائر العارم ، لتختم القصيدة على دفعة من الحقد المقدس ، والاستحثاث لطلب الثأر .

هنا جبل النار ، كان يطوف حلم بأجفانه الساهره
تغاديه فيه طيوف نسور تغل بأفق العلى طائره
مخالبها راعفات ، وملء جوانحها نشوة ظافره
وبرد التشفي بشاراتها وراء مناسرها الكاسره

في هذه القصيدة الطويلة الرائعة فيض دافق من الحس الوطني والانساني المتفجر النبيل ، يشترك فيه سحر الطبيعة ، والخيال الموهوب ، والتصوير المعبر بقوة وجمال وحرارة .

إنها قصيدة عامرة بالمعاني الكبار ، والعواطف الكبار . واقول إنها اروع قصائد فدوى ، ومن روائع الشعر الانساني ولو قدر لها ان تنقل الى اللغات الغربية لاصبحت زغرودة في فم الزمان . ومن الحق ان تدخل هذه التحفة الرئعة في الكتب التي نقدمها لطلاب المدارس وطالباتها ، ليتأثروا بروحها ، ويعملوا بوحيها ، لانها ترضعهم الحقد المقدس ، وتعد نفوسهم الصغيرة ليوم كبير يجب ان يرتقبوه .

ولعل من اهم اسباب القوة والحيوية في هذه القصيدة ، ان فدوى لم تكتبها بالفاظ خطابية مجلجلة ، كعادة شعراء الوطنية ، وانما كتبتها بالفاظ تقطر منها الرقة والحنان والموسيقى ، ففي كل لفظة حس دام وفي كل بيت صورة موجعة . لقد خلعت فدوى حسها على الالفاظ الجامدة ، فحولتها الى مجموعة احاسيس ملونة وحياة ثرة غنية .

وقصيدة ثالثة فيها الخيال والحس والصور اللطاف ، والانغام الحنونة . انها قصيدة « الشاعرة والفراشة » التي تبدأها بتصوير نفسها فتقول :

. . فتاة احلام خيالية تسبح في اجوائها النائية
الصمت والظل وافكارها رفاقها ، والسرحة الحانية
حياتها قصيدة فذة منبعها الحس ونيرانه
وحلم محير تائه من قلق اللهفة الوانه
حياتها بحر نأى غوره وان بدت للعين شطآنه

وفي هذه القصيدة تخلع الشاعرة من احساسها المرهف على فراشتها ، حياة عامرة بالاحلام والهوى والعواطف والمشاعر . غير انها لا تلبث ان تتخذ من موت الفراشة مجالا للتعبير عن هواجس كلها قلق وخوف ، وتفكير في الموت ، بعد ان ظلت مستبشرة تنعم بجمال الوجود ، واعراس الربيع ، وافراح الورود .

ومع ذلك فان تأملاتها اللطاف ، واحاسيسها الملونة ، وما افاضه خيالها على الطبيعة من حس وحيوية ، كل هذه كانت نماذج وصوراً لشاعرية تستطيع ان تخلق الجمال ، وان تبدع الغبطة والبهجة .

لقد عبرت الشاعرة بكل صدق عن ان الخوف من الموت هو الغصة الكبرى التي يكاد يضيع بها جمال الحياة . ولذلك تخاطب ربها في ختام القصيدة بشيء من العتاب الرفيق والاستسلام الخائف المؤمن :

يا مبدع الوجود ! لو صنته من عبث الموت ، وطيش الفناء !؟

وهذه القصيدة تذكرني بقصيدة « الفراشة المحتضرة » لايليا ابو ماضي . انهما من منبع واحد ، وعاطفة واحدة ، وفي كليهما لمسات رفيقة من الحس الحزين . غير انهما تختلفان في النهاية ، فابو ماضي يعزي نفسه وفراشته بالعودة الى الحياة مرة ثانية ـ عقيدة تناسخ الارواح ـ حيث يلتقيان على صفحة الحقل

الجميل من جديد ، متغلبين على الموت ورهبته ، بينما تختم فدوى قصيدتها على القلق من هذه الحياة التي لا بد من انتهائها الى الموت .

ولعل ههنا مكاناً لاذكر ان في شعر فدوى اثراً بعيداً من شعر المهجر : ففيه منه انطلاقه، وخيالاته ، وتأملاته ، وروحه الانسانية ، وصوره الشعرية ، وفيه كذلك عمق احساسه بحيوية الطبيعة ، والاتصال بها كما لو كانت اشياء حية كلها احاسيس واحلام . ولعل ابعد المهجريين اثراً في شعرها ابو ماضي نفسه ، ونسيب عريضه - على قرب عهدها بشعر نسيب - : الاول بخياله وعمق شعوره بالطبيعة ، والثاني بتأملاته العميقة وكثرة غوصه في اعماق نفسه .

والشعر التأملي غالباً ما تمسح عليه اصابع الالم والحيرة بلمساتها الرقيقة المؤثرة ، لانه بحث هائم حائر عن المجهول ، وطلب المجهول دائماً يدمي الاقدام ، مهما يكن هذا المجهول : عاطفة ، ام حقيقة ، ام فكرة ، ام روحاً ، ام شخصاً مرتقباً .

ولذلك نرى لفحات الالم تتسرب حارة الى قصيدة « اوهام في الزيتون » التي حلق فيها خيال فدوى الى الذرى ، ولكنها لم تلبث ان اصطدم خيالها من جديد بفكرة الموت ، تلك الفكرة التي طالما سببت لروحها وحشة والماً عميقين ، ظهرا في كثير من قصائدها .

ولله ما احر نجواها لخالقها قبل نهاية القصيدة ، وما اعمق حسها الدافق اذ تقول :

يا رب! اما حان حين الردى وانعتقت روحي من هيكلي
واعتقت نحوك مشتاقة تهفو الى ينبوعها الاول
وبات هذا الجسم رهن الثرى لقى على ايدي البلى الجائرة
فلتبعث القدرة من تربتي زيتونة ملهمة شاعرة ...
حتى اذا، يا خالقي، أنممت عناصري أعصابها والجذور
انتفضت تهتز اوراقها من وقدة الحس ووهج الشعور

وكذلك نجد مثل هذه اللفحات وهذا الوهج ، في قصيدة اخرى لها بعنوان « نار ... ونار » تناجي فيها النار المشتعلة في الموقد نجوى ينطلق فيها الخيال بعيداً بعيداً ، فيجمع بين دفقات الشرر المتطايرة من الموقد الى غير رجعة ، وحزمة السنين التي انطلقت من موقد عمر الشاعرة الى غير رجعة ايضاً ، ثم يعود بها الخيال الى الزمن الذي كان فيه جمر هذه النار اشجاراً ضخمة قد ازدحمت الحقب في احشائها ، وكيف اصبحت الآن طعمة لهذا اللهيب الاحمر الذي كانما ...

تعانق فيه ضياء القمر
ولون الغروب ، ولون السحر
وكل شعاع على الدور مر وظل عبر

وكل ذلك ليبعث في جسمها الدفء ، ويطرد عنه القفقفة والانخذال .

واليك صورة جميلة من هذه التحفة ذات الالحان والصور السحرية :

وفي سبحاتي بدنيا الاوار
تباغتني حزمة من شرار
قد انقذفت من فم الموقد
تؤز ، فأرسل فيها يدي
هنا وهناك بشوق مشار
لاخطف تلك النجوم الصغار
فكانت تروغ وتركض في
مداها وسرعان ما تختفي
واسأل نفسي : اين يغيب
شرار اللهيب ؟
وهل تحزن النار اذ ينطفي؟!

وخيال فدوى ، كما ترى ، عجيب عجيب ، إنه يطوف الآفاق ليعود حاملا بين اجنحته الحلوة أفانين من الجمال في رؤاه واوهامه تزدحم بها قصائد فدوى . والخيال في الشعر هو العنصر الأقوى الذي يغذيه بالحيوية والجمال . وليس شك في ان من بواعث هذا الخيال : قوة الحس . وحس فدوى عجيب كخيالها ، انه منبع ثر للشعر ، لا يزداد على الايام الا اندفاعاً وفيضاً وغنى .

***

وبعد فهذه صور من شعر فدوى ... ان فيها دفقاً من الجمال الحلوب ، والحنان الرهيف ، يلونان احاسيسها ، وتصاويرها ، وخيالاتها ، وتأملاتها ، ويبعثان الحياة دافقة حارة في ما ترسمه من اشواقها ، واحلام روحها ، ونبضات قلبها الرقيق .

ان فدوى طوقان لهي الدليل على ان المرأة تستطيع أن تقف الى جانب الرجل ، بل وتتفوق عليه احياناً ، في ميدان الأدب والشعر . واذا كان الشعر حساً حنوناً ، وعاطفة حرة ، فهو إذاً ميدانها الأوسع الذي تنطلق فيه اجنحتها برفيف حلو ، كله ثقة واعتزاز .

ألا تباركت هذه الشاعرية المبدعة ، التي استطاعت ان تخلق : «رقية» و «طمأنينة السماء» ، و «تهويمة صوفية» ، و «مع سنابل الحقل» ، و «الشاعرة والفراشة» ، و «اوهام في الزيتون» ، و «نار ... ونار» ، و «يتيم وام» ، لانها شاعرية اصيلة غنية خلاقة .

عمان عيسى الناعوري

# المارد الاناني

The Selfish Giant

مترجمة عن اوسكار وايلد

**بقلم الآنسة سميرة عزام**

في عصر كل يوم ، وعند موعد انصراف التلاميذ من مدارسهم ، اعتاد الصغار ان يعرجوا على حديقة مفتوحة ، فيلعبوا ويمرحوا ما شاء لهم المرح في الحديقة المعروفة بحديقة المارد .

كانت حديقة فسيحة الارجاء كساها الحشيش بخضرة زمردية ، وخلع عليها الزهر الواناً رائعة وزادتها روعة تلك الشجرات الاثنتي عشرة التي تزهر في الربيع زهراً وردياً حتى اذا عقدت حرارة الصيف البراعم واخرجتها لوزات شهيات .. يطيب اكلها للصغار .. راحوا يمدون اليها اصابعهم الصغيرة يقطفونها ويغيبونها في اجوافهم النهمة ..

وكان من الممكن ان تستمر سعادة الصغار بهذه الحديقة لولا ان الاسطورة تروي فيما تروي فتقول إن المارد عاد الى حديقته يوماً وكان قد فارقها سنين سبعاً قضاها في زيارة صديق فما ان ابصر الصغار يمرحون في جنباتها الرحبة حتى اطلقها في وجوههم صيحة مخيفة حملتهم على اطلاق سيقانهم للريح فزعاً ورهبة ...

وتقول ايضاً إن المارد قد احاط حديقته بسور عال ولم ينسَ ان يخط على البوابة عبارة تمنع العابرين من الدخول .

حقاً لقد كان مارداً بالغ الانانية .

وهكذا حرم الصغار من متعة لذيذة في ارجاء الروضة فكانوا اذا ما مروا بها حين عودتهم من مقاعد الدراسة عصراً وهالهم منظر البوابة الرهيبة المغلقة..وصدهم عنها سورها المرتفع الجبار . اطلقوا من صدورهم الصغيرة تنهدة اسى .. وراحوا يستعيدون ذكرياتهم السعيدة في الحديقة .. وفي عيونهم المتالقة سحابات شفافة من الدموع .

وجاء الربيع .. ونفخ شبابه في الارض والزهر ، والشجر والطير .. الا في حديقة المارد حيث لم يجر الربيع اذياله على الاديم .. فما زارتها الاطيار .. ولا برعمت فيها الاشجار .. ولا حلا للزهر ان يتفتح عن اكمامه .. عدا واحدة قبل انها دفعت رأسها الاحمر وادارت بصرها في ارجاء المكان فراعها الجمود المسيطر على الحديقة واذهلتها مظاهر الموات .. وخشيت مرارة الوحدة .. فطوت اوراقها وضمت اكمامها وهجعت من جديد..

ولم يطرب لهذا الجمود الشامل الا الثلج والصقيع .. اللذين تبادلا الابتسام وراحا يقولان في شماتة .. لقد نسي الربيع ان يمد الروضة اصبعاً .. وتركها لنا فلندع ريح الشمال لتكون ثالثتنا .! فاقبلت تلك بزمجرتها وضجيجها وحلا لها ان تحرك البرد فراح يتساقط بوفرة غمرت الحديقة وقلعة المارد.. ولفعت الارض ببياض كئيب ...

ـ لا ادري السر في تأخر الربيع .. قالها المارد وهو يجيل عينيه في ارجاء الحديقة الكئيبة اهي الفصول غيرت مواعيدها، ام هو الشتاء مد اصابعه المقرورة الى قلب الارض وابى نزوحاً عن حديقتي ؟..

وانقضى الربيع .. وتلاه الصيف ومن ثم اقبل الخريف فتلونت الثمار .. وفاضت المعاصر .. وتكومت البيادر الذهبية .. وغردت الجداجد .. وبدت الطبيعة الكريمة في اقصى مظاهر جودها وفيض كرمها الا في حديقة المارد .. فما فرحت قلبه بثمرة..ولا اثلجت صدره بزهرة .. بل تركت الحديقة



مسرحاً تدور فيه ريح الشمال ... وينتعش فيه الثلج والصقيع . الى ان كان صباح خيل فيه للمارد بانه يستمع لصوت عزف لطيف حرك فيه احاسيسه الجامدة ، وحرم من سماعه مدة طويلة .. فاطل برأسه من النافذة فرأى طائراً يعلو احدى الشجيرات يطلق نشوته على مداها في لحون عذبة .

وكان للتغريد من السحر ما قهر سلطان الصقيع والثلج وريح الشمال .. فتوقفت عن الدوران وران على المكان صمت لم يقطعه الا صوت المغرد النشوان .. فتنفس المارد الصعداء وارتسم على اساريره طيف ابتسامة .. وحمل نفسه وقصد الحديقة ليبارك الربيع الساعي فتسمر في مكانه حين ابصر بكل شجرة وقد اعتلاها طفل جميل زين رأسه باكاليل من البراعم .

وفي ركن بعيد من اركان الحديقة وقف طفل كان اضعف من ان يقوى على تسلق الشجرة فاستسلم لأسى اثار دموعه فانحدرت على خده الجميل كاللآلىء المنثورة..

دمعة غريره لطفل غريرة حركت في قلب المارد عاطفة الرحمة ، واثارت عاصفة ندم .. لحرمانه هؤلاء الصغار من نعمة اللهو ..

ونقل المارد خطوه .. فقفز الصغار من اماكنهم فزعين وهربوا الى حيث يأمنون شر المارد .. الا ذلك الصغير سمرته المفاجأة وثبت قدميه مكانهما .

وتقدم الجبار من الصغير فمد اليه يداً مسحت دموعه وساعده على اعتلاء غصن وارف فاحاط الطفل عنقه بكلتا يديه وادنى شفتيه الرطبتين من جبهة الجبار وطبعها قبلة تلاشت امامها انانية المارد واستحالت رقة متناهية ..

قبلة بريئة انبتت في قلب المتحجر شجرة محبة وفجرت فيه ينبوع حنان .

وحمل المارد فأساً وراح يقوض سور الحديقة ويدعو بقية الصغار الى ولوجها انها لكم ايها الصغار وللربيع .. فتعالوا ..!

انها لكم بازهارها التي ترقص على صدى ضحكاتكم .. وبأديمها الذي تلونه خطاكم المتهادية .

وكم كانت دهشة الناس بالغة في تلك الامسية حين بصروا بالمارد ممسكاً بيده الصغار ودائراً معهم في حلقة راقصة.!

وعاد الربيع بوروده والوانه الى الحديقة بعودة الصغار اليها.. جميعاً خلا ذلك الطفل الذي منح الجبار قبلة والذي افتقده المارد فيما بعد فما عثر له على اثر بين زمرة اللاهين ...

ـ اين رفيقكم يا احبائى ..

ـ لقد ذهب .. وليس فينا من يعرف له مكانا

ـ اذهبوا وفتشوا عنه وبلغوه دعوتي وقولوا له ان شوقي اليه بالغ ..

وبحثوا عن الصغير على غير طائل .. فقد اختفى فجأة كما ظهر ..

وكرت الايام فالاعوام ونال الوهن والشيخوخة من المارد فاحالته ضعيفاً واهن القوى عاجزاً عن ملاعبة الصغار .. فاكتفى من لهوهم بالفرجة مستلقياً على كرسي ضخم ..

وفي ذات صباح ـ وكان الوقت شتاء ـ وتقول الاسطورة إن المارد لم يعد من الشتاء على خشية اذ كان موقناً بمعاودة الربيع اطل على حديقته يملأ من منظرها عينيه فرأى في زاويتها البعيدة .. وتحت الشجرة المعهودة .. صديقه الطفل ..

وقفز المارد متناسياً شيخوخته الى حيث وقف الصغير .. ولكن حمرة الغضب علت وجهه المتغضن اذ ابصر الطفل وقد سالت من كفيه وقدميه دماء غزيرة قانية ...

ـ الا اخبرني من آذاك يا صديقي الحبيب فاقتص لك منه .

ـ لا احد يا صاحبي انها جراح المحبة ..

وحدق الجبار في عيني الطفل ولم يلبث ان قال بصوت اوتج من الذهول ..

ـ انك لست صاحبي القديم .. فمن عساك تكون ؟

وابتسم الصغير ابتسامة نورانية في وجه المارد وفتح فاه قائلا بصوت عميق ..

بل انني صديقك .. لقد سمحت لى مرة باللعب في حديقتك كما سمحت لغيري من الصغار فكتبت للمحبة غلبة اية غلبة ورفعت للتسامح راية على بابك..وفتحته كما فتحت قلبك على المصراعين..

انني لم انسَ صنيعك يا صديقي وسادعوك بدوري اليوم لزيارة حديقتي الخضراء في الجنة ..

والآن هل عرفتني ؟

***

في مساء اليوم نفسه اقبل الصغار على الحديقة بضحكات واهازيج اخرسها الذهول عندما اعترضهم جسم المارد ممدداً تحت شجرة لوز كفنت جسمه الضخم بأزاهيرها الوردية .

**سميرة عزام**

# الجمال

بقلم ابو بكر النمري

لكأنى وايم الحق اذ ابحث في الجمال اقف امام شكل حقيقي او أمر معنوي تلوح عليه روعة البهاء فيغترق علي سمعي و بصري .

الجمال لفظة تطلق بغير تقيد على امور كثيرة ـ فالوجه الصبيح ، والزهرة العطرة ، والقصيدة الغراء ، والبنيان الفخم ، واللحن العذب والقد المياس ـ كل منها عامل على إثارة ما في النفس من انفعالات البهجة والسرور. وانما صفة الجميل الجوهرية وميزته الاولى ان يتحلى بما تطيب به النفس وينشرح له الصدر. وهذا السرور المثار يعود الى عنصرين احدهما حسي والآخر عقلي . اما الحسي فينتج عن عمل مناسب لاحدى القوى العضوية كالسمع والبصر او يصدر عن المخيلة ذاتها ، وعليه نصف بعض الالوان بالجمال كما تنعت بعض الالحان بالعذوبة ، وفي الحالين جميعاً نجد ان الحافز العضوي له الاثر الجلي في حكمنا على حسن الموضوع وجماله . وفي الأعم الاغلب يقترن الارتياح الناجم عن الحسن بعنصر هناء يعتمد على اعمال المخيلة ، اذ ان التمتع بالمسبب ينبغي ان يعزى طوراً الى القوة الممثلة وتارة الى القوة المتمثلة. ذلك لان قوى الحواس الظاهرة والباطنة المتبادلة قادرة على تعليل سبب السرور الذي تثيره الامور الجميلة . ومن ينكر او يستصغر حقيقة الجمال الحسي فهو عن الصواب بعيد. لان كل ما يُرى ويسمع ويحس سواء اكان عقلياً ام مادياً يفتن بالنسب الى كميته، وقوته ، وتساوقه في سبيل استفزازه لعاطفة الارتياح والبهجة .

ان السواد الاعظم من الفلاسفة يرون ان اغلب الاشكال في مختلف انواع الاشياء الجميلة تعتمد على الوحدة في التنوع. وادراك هذا الكمال او تصوره عمل عقلي. فالتناسب والنظام، والتساوق والاحكام ان هي الا اشكال خاصة بهذه الوحدة. فحسن ملامح المحيا الوضاح ، ورقة البشرة الصافية الاديم ، ولطف محاسر الانسان ، ورونق معاطف الحيوان ، وتناسب اقسام البنيان العجيب ، وانتظام اجزاء الزهرة المؤنق ، ووحدة الفكرة الجارية في مجرى موسيقي ، والقصيدة المتدفقة طبعاً وسلاسة ، والرواية البالغة حد الاعجاز من البيان وحسن السبك ليست الا تعابير متنوعة تدل على الوحدة في المتنوع .

ولا شيء يؤلم قوانا الحسية كالنغمة الواحدة لا تنوع ولا تتغير ، مع ان تنوع الشيء في تخاذل وكثرته في نبو واختلال مما يصد الرائي والسامع عن تناوله بنفس مغتبطة. الا ترى اننا عندما يستفز قوانا المدركة حافز متنوع قد حفظ ما لأجزائه من الوحدة ندرك من فورنا مشخصات ذلك الامر دفعة واحدة ، فتعلق مداركنا باجزائه المتعددة دون ان يعتريها مشقة في ذلك ؟

واخص ظاهرات وحدة الفكر في عمل فني هو النفع. فالعقل يغتبط اذ يلمح موضوعاً بعينه يناسب المقام الذي سيق له ويلائم الهدف الذي يجمل به. فالكلب السلوقي يحوي فكرة السرعة، والبرذون يشمل فكرة القدرة على الحمل، والافتتان الذي يثيره عمود في قصر منيف رائع يتوقف على مقدار نفعه البين، وتناسبه الجلي ، وملاءمته الواضحة بقدر ما يتوقف على جماله. ولهذا السبب جرى القانون الاساسي في طراز الفن القوطي « ألا تظهر فيه زينة بقصد الزينة » وما كان هذا القانون سوى تطبيق عملي للسنة النفسية السيكولوجية .

هذا وقد الف جماعة علماء النفس ان يطلقوا قولهم «الجمال المقيد» على موضوع ما يبعث على السرور ويصلح ايضاً لان يكون هدفاً لغير السرور. اما الموضوع الذي يدعو الى البهجة مباشرة فهو « الجمال المطلق » ومثال ذلك اذا اعتبرت الزهرة كمجموعة ووجدتها جميلة كان جمالها جمالا مطلقاً. ولكنه اذا داخلك سرور من التأمل في تناسب كل جزء من اجزائها بمفرده فذلك سرور ناجم عن التأمل في الجمال المقيد .

وهنالك مبدأ آخر يلجأ بعض العلماء اليه لكي يشرحوا انواع الجمال كافة. ذلك هو مبدأ التداعي او الايحاء العقلي. فيرون انك لو سرحت بصرك الى سهل واسع تتموج فيه سنابل القمح لما استطعت ان تملك نفسك من الطرب لان المنظر الذي شاهدت يمثل لك الخصب والسلام. واذا ذهبت تتفقد آثار قلعة قديمة فلا عجب ان تغلب عليك نشوة السرور لان الاطلال المقويات تعيد الى مخيلتك ذكريات الفروسية واعمال الجبابرة والابطال .

لا غرو ان التداعي يوقظ الانفعالات المبهجة ، بل يغرق النفس في بحر من الافتتان العارض اي غير الجوهري، فذكريات الحداثة والصغر، والانغام المألوفة ، والازياء المنتشرة، وقوانين آداب المعاشرة ، كلها تشير الى فعل مبدأ التداعي واثره في عالم الجمال. بيد انه لا ينبغي لنا ان نفرط في التمسك بهذا المبدأ لئلا نسقط في اغلاط كثيرة. وان من رزقوا الذوق السليم عليهم ان

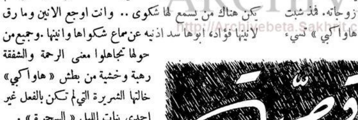
# سانكارامبا بابيلا

بقلم يوسف ابو خليل

☆

في ناحية من مجاهل افريقيا السوداء ، وفي قرية صغيرة جداً من هذه الغينيا الفرنسية ، ومنذ زمن ليس بالبعيد يكاد لا يتعدى نصف المئة من الاعوام عرفت هذا الوجود ابنة افريقية كانت تدعى « هاوادي » حواء الصغيرة ، وكانت تلقب بالزنجية الحمراء لانها ذات سحنة تميل الى الاحمرار اكثر منها الى السواد . حرمت الاقدار هذه البنت من أمها وهي لما تبلغ الثالثة من العمر ، فراحت - لاول وهلتها في الحياة - تلقى من التعاسة والشقاء الواناً واشكالا ضمناتون من جور «هاواكبي» حواء الكبيرة المرأة الشريرة الظالمة، ربة بيت ابيها واحدى زوجاته. فذ شبت « هاوادي » وصارت قادرة على العمل و « هاواكبي » تسيء معاملتها ، تذيقها الألم المرير وترهقها بالشاق من الاعمال غير موفرة لها حتى أقل قسط من الراحة. فالفجر لم يكن يطلع على الابنة المسكينة الا وهي في طريقها الى النهر لنقل الماء وغسل ما قذر من الاسمال ، أو هي في طريقها الى الغاب لقطع الاحطاب ولملمة القش . ولم يكن يمر بها نهار دون ان تتعرف اذناها على : « بنت الحرام وحفيدة المماليك الارقاء » وغير ذلك من قوارص الشتائم . ومدقة الدخن والارز، التي كانت في بيت ابيها ، قل ما تعرفت على غير يديها واضنت غير زنديها . والارض كم اكلت من ركبتيها عندما تركع لاشعال نار الموقد مهيئة ما تمتلىء به اولا بطون أبيها وخالاتها واولادهن ، وبطنها اخيراً بالفضلات .

تظلمت من الحياة وشكت كثيراً مما كانت تلقى ، ولكن ، لم يكن هناك من يسمع لها شكوى .. وانت اوجع الانين وما رق لانينها فؤاد، ابوها سد اذنيه عن سماع شكواها وانينها . وجميع من حولها تجاهلوا معنى الرحمة والشفقة رهبة وخشية من بطش « هاواكبي » خالتها الشريرة التي لم تكن بالفعل غير احدى بنات الليل « السحرة » .




استمرت حياتها على هذا النمط ،

---

يقروا بما في ريشة الطاووس وصدفة البحر من رواء وبهاء بقطع النظر عما تحتويان عليه من العلاقات الخارجية .

***

جملة القول السمع والبصر هما الحاستان الرئيسيتان لتقدير الجمال. وللقوى الاخرى نصيب من ذلك ولا سيما اذا تمركزت في المخيلة ، كما يظهر ذلك من التأمل في وصف شعري بليغ .

ولما كان تقدير الجمال يعتمد على السمع والبصر اصبح من الصواب ان نذهب في ان السرور الذي يملأ قلبنا لدى التامل في صورة رائعة لا يتناقض عندما تشاطرنا قلوب اخرى التامل في ذلك المنظر الحسن ، بل يزداد هذا السرور كلما كثر الاعوان المتاملون في موضوع جميل معين .

الحصن - المملكة الاردنية الهاشمية — ابو بكر الحمري

حياة مظلمة ليس فيها بصيص من نور فتجاوزت الشهور الى السنين و «هاوادي» تتخبط فيها جلودة مستيئسة، اعتادت على العذاب كمن يعتاد على السم الى ان جاءتها ذات يوم رفيقة لها، وقد اشفقت عليها، تهمس في اذنها حقيقة هاواكبي المرأة الشريرة .. ذلك ان ام « هاوادي » لم تمت نتيجة مرض، بل « هاواكبي » هي التي اكلت قلبها بدافع الغيرة والحسد، لان الاولى كانت اوفر منها جمالا واسعد حظاً عند زوجها .. لم تكن هذه الحقيقة خفيفة الوقع على نفس « هاوادي » بل ادخلت الى قلبها الرعب وزادتها ايلاماً على ايلام وملأتها قلقاً واضطراباً .. لقد كانت تجرؤ من قبل على اظهار بعض الشكوى، اما وقد علمت من امر خالتها ما علمت فليس لها الا ان تعض على الألم وتتظاهر بالرضى والقبول، ساخطة من عمرها اياماً كانت اعبس ايام حياتها، حتى ضاقت ذرعاً ونضح فؤادها باكثر ما كانت تقدر على حمله من الآلام ففكرت في قرارة نفسها، وعزمت على الخلاص بأية وسيلة كانت ...

وفي ليلة حالكة الظلام وجدت « هاوادي » من نفسها الشجاعة الكافية للانفلات من قيود اسرها المقض الموجع. فاطلقت ساقيها للريح، غير ملتفتة الى الوراء انطلقت سيراً على قدميها في دروب بلاد الله الواسعة، تؤذي اقدامها الحجارة والاشواك، ويزيد في احمرار لونها غبار المجاهل. كانت تخرج من مجهل لتدخل الى مجهل ملاقية مرة الوحوش الكاسرة وأخرى القردة، وكانت تغادر قرية لتفد على قرية. واستمرت في سيرها طوال سبعة ايام بلياليها كانت خلالها تقتات حيناً مما تجود به عليها الطبيعة، وحيناً من مائدة غرباء الناس. واخيراً وبعد اسبوع من المسير بلغت « هاوادي » بابيلا وهي قرية صغيرة كانت بيوتها في ذلك الحين ولا تزال حتى اليوم لا تتعدى السبعة عشر لا تبقي ولا تذر غير متسعة الى مئة ونصف المئة من الانفس، بعد ان كانت في الماضي البعيد، قبل فتوحات البيض، تعد بيوتها بالمئات يسكنها الف ونصف الالف من جيش الكاراموغوجا أولي احد سلاطين قبائل المادينكي .. وكان الوقت لا يزال فجراً والعتمة لا تزال تجمع على مهل ستائرها، وكان القوم في رقاد عندما بلغت « هاوادي » بابيلا. فدلفت ــ كعادة كل قادم غريب ــ الى ظل شجرة ضخمة كثيفة الاوراق مكتظة الاغصان، في ساحة القرية حيث حطت الرحال لاهثة مرهقة منهوكة. وما ان استقر بها المكان الى جذع الشجرة حتى دخلت الى سمعها حركة لم ترتح اليها. فتطلعت بدهشة الى هنا وهناك ثم الى فوقها، فاذا بها ترى ديكا احمر موثقاً الى غصن من اغصان الشجرة. فتألمت لما رأته ثم تقدمت من الديك تفك وثاقه وهي تقول: « وانت ايضاً مظلوم مثلي؟.. ما أقسى هؤلاء البشر حتى على الطيور يجورون !! » وعادت بعد ذلك الى مكانها لتستسلم الى رقاد عميق ...

لا .. لم يكن الديك مظلوماً كما فكرت هاوادي.. فان لوثاقه قصة ستقف عليها هاوادي بعد قليل عندما تصحو من غفوتها. فسكان بابيلا المائة والخمسون احفاد الكاراموغوجا أولي هم من اولئك الافريقيين الحريصين كل الحرص على كثير من عادات اسلافهم وتقاليدهم .. باتوا ليلتهم وهم يمنون انفسهم بصباح العيد المقدس .. عيد السانكارامبا ( ملكة الجمال )، الذي يحتفلون به في أول احد من كل عام. وتدوم الاستعدادات لهذا العيد ثلاثة ايام قبل حلوله .. هو عيد الصبايا البكر وعيد الشباب الطالع وعلى الشباب ان يظهر فيه ابعد براعة عنده في الرقص والغناء وقرع الطبول ودق البالانجي الآلة الموسيقية الافريقية. ويحق لكل فتاة بلغت الرابعة عشرة من عمرها ان تنشد لقب السانكارامبا شرط ان يكون ابواها في بحبوحة من العيش تمكنهما من العطاء والسخاء بلا عد ولا حساب .. وعند غروب اليوم السابق ليوم العيد تحت اكبر الشجرات عمراً واضخمها في ساحة القرية يجري اكتتاب الفتيات في حضرة رئيس القبيلة وحاشيته .. وكثيراً ما يدوم الاكتتاب حتى ساعة متأخرة من الليل ثم ينصرف بعد ذلك الجميع الى بيوتهم ليناموا حالمين ببهجة العيد المنتظر. وبعد ان ينصرف الجميع ينسل احد اتباع رئيس القبيلة خفية ليوثق ديكا احمر في غصن من اغصان تلك الشجرة .. والسابقة من الفتيات الى حل وثاق الديك في صباح العيد هي الحائزة على لقب السانكارامبا ملكة الجمال.

تلك هي قصة الديك الذي حلت « هاوادي » وثاقه والتي وقفت عليها عندما استفاقت مذعورة من نومها على انغام البالانجي وقرع الطبول وزعقات المغنين وقد تكأكأ الجميع عليها يسألونها من التي قد حلت وثاق الديك .. كانت هاوادي على مسحة من الجمال لم تكن متوفرة في اية بنت من بنات بابيلا فاستحقت لقب ملكة الجمال الجدير بها وكان لها عيدان عيد الانعتاق وعيد السانكارامبا ...

غينيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

# ذكريات واحاديث وجد وأدب

بقلم محمد يوسف مقلد



أنس ، لا أنس ذلك الاصيل الذهبي ، وتلك الجلسة الماتعة في مشرب على ضفاف الرون :

انا وصديقي نمر صباح في ركن قصي منعزل من اركان المشرب ، وساقية هيفاء رائعة في مطلع الصباء ، ذاهبة آيبة بخدمتنا ومطالبينا كما ينداح ظل ويعود .

كم كانت جلستنا في تلك الساعة متجانسة مع ما نرى ونحس ونقرأ من قصائد « باب الاحلام » .

كنا نتحدث عن اندريه وجلستنا الماضية معها* ونقرأ بعض قصائدها :

كل شيء في هذه الجلسة كان يلهب الشعور وينطلق بالفكر الى عوالم بعيدة ، من الخيال والاحلام ، وكنت احدث جليسي بغبطة وحماسة انستاني سيكارتي التي اشعلتها في بدء الحديث ، فلم افطن لها الا بعد ان صارت رماداً ..! ولاحظ ذلك فضحك وقال : أبلغ بك الوجد الى هذا المقدار ..؟ ثم صفق بيديه الى الجرسون ، وطلب ورقة وغلافاً وكتب الرسالة التالية الى اندريه :

« عزيزتي : عجيبة هي النفس الانسانية ، هذه النفس التي تشكل مسرحاً واسعاً لاصداء وانطباعات وانفعالات نجد فيها دنيا ، بل عالماً لا حد له ولا حصر !

ان عصفوراً يوحي لنا كما توحي زهرة ، وان صباحاً جميلا يدخل على نفوسنا الكآبة ، كما يفرحنا مساء قاتم ..! ان ابتسامة او دمعة ، تحيينا ، وتفتح في عالم نفوسنا شعاباً وطرقاً !

الشاعر ، هو اكثر من نفس ومن قلب .. والشرقي هو - لو تعلمين - اكثر من جميع البشر حساسية وشعوراً ..!

لقد نسي صديقي سيكارته في المرمد ، حتى ذابت واستحالت رماداً .. كان مشغولا عنها بالتحدث عنك وعن جلستنا الماضية التي كانت مرقصاً لقلوبنا وعواطفنا من جراء حديثك الممتع الحار عن الحب .. ماذا ترينه صانعاً بهذه العواطف « الليونية » التي يشحنها معه في صدره الى لبنان ..؟ سيذيعها ويشرك الناس بها ، ام انه سيحتفظ بها لنفسه ..؟

ان اميرة شارع دوفيني اوحت اليه أشياء كثيرة جميلة . وهو ينوي ان يصف زيارته لفرنسا ، لليون ، لصالون الشعراء ، ولهاتيك الشاعرات اللواتي جمعن بين المنزل والادب .

ان وجودك يا عزيزتي نافع ، وعلى الاقل للذين يستوحون منك .. لانك المرأة التي تشع ، ولان القلوب لا تستطيع الا ان تنشغل بك والا ان تفهمك ، وخاصة عندما تتحدثين اليها ..

كم نكون محظوظين وسعيدين لو تتكرمين علينا بزيارة عند المدموزيل بريه حيث اسكن أنا . حددي لنا موعداً يا اعز صديقاتنا ! »

***

بعد يومين من ارسال هذه الرسالة تلقيت برقية من مرسيليا تدعوني للحضور حالا لئلا تفوتني الباخرة . وفي صباح اليوم الثالث تلقيت من صديقي نمر جواب اندريه على رسالته ، وصورتها مهداة الي ، وهذا هو نص رسالتها :

« رسالتك الودية الشائقة جعلتني احمر شكراً وخجلا لشدة ما تحمل من الاحاسيس ، اماني كل امرأة من نوعي ! إني شعرت أنها من قلبين لا قلب واحد .. لذا ، تلوتها عدة مرات لاستيعاب جميع افكارها واجنحتها ، وكم كانت وقفة افكاري هائلة وحساسة - بصورة خاصة - على حكاية السيكارة التي استحالت رماداً - من وجدها - دون امتصاص ! !

صديقك .. هو شاب من ألطف الشباب روحاً ومجلساً واقواهم ذكاء ولا أزيد ..! ولكن باي حال يمكنه ان يكتب عن شخصيتي العصرية .. ؟ أتراه سيتحدث عني كامرأة ، كشاعرة ، كأوروبية فرنسية ، كاذا ..؟ احب ان اعرف سلفاً !

وكم اتمنى ان اكون ملمة بقليل من لغتكم العربية الجميلة ، لا اعرف ما اذا كان الذي سيكتبه عني غير موجع جداً !.

اذا استطعت ان اكون حرة نهار الجمعة او السبت فسآتي لزيارة اميري شارع جان جوريس ، اما غداً ، فاني على موعد مع المصور .

اعتقد يا صديقي ان اليوم هو ٢٤ ساعة ؟ وقد فركت يدي

* « الاديب » ج ١٠ سنة ١٩٥٠ بعنوان « من ذكريات فرنسا »

كثيراً لأقبض على الوقت فتخطاني وولى الادبار مسرعاً ! انني غير قادرة على تحقيق نصف ما يطلب مني، انظر : اليوم، الدقيقة الثانية ، هي لمعة تبرق «اوفت» وتختفي ! !

والمساء يدور، واحلام الرقاد ما تزال وراء حجب الوهم !

قل لصديقك اني اقدم له خالص شكري وصداقتي، مع أطيب تذكاري (صورتها)، وأأمل ان القاكما، ولكن على غير موعد. «اندريه»

***

لم يتحقق أملها ولا املنا باللقاء الثاني. فقد عدت الى لبنان متقداً حنيناً اليه بعد غياب طويل. ولم اكن ادري اني سوف لا اجد فيه نمط هذه الحياة الروحية الخالقة التي ذقتها مدة شهرين في فرنسا، ولم اكن ادري انه سيعاودني الحنين الى كل ساعة من هذين الشهرين السعيدين. بل أقسم باعز اماني قلبي باني لو كنت اعلم من احوال لبنان ما اعلمه اليوم لفضلت ان ابقى في فرنسا

وليست هذه الصورة المكتوبة عن حنيني المخدوع الى لبنان وقفاً على عواطفي وحدها. كلا! بل ان هناك رفاق مهجر يقاسون مثلها واشد. فبعد وصولي باسبوع جاءني من صديق مهاجر [1] رسالة تهنئة يقول فيها : «لقد حططت رحالك اخيراً في ارض الوطن، هذا الوطن الذي طالما داعب خياله احلامك وما زال يداعب منا الاحلام ! كم ارجو لك طيب الاقامة، وهناءة الاستقرار، اما نحن هنا، فما زلنا – كعهدك – ندأب على العمل، ونتعلل بالأوهام ! يريد منا العرف المتبع هنا ان نرضى بالواقع ونغتبط به كنعمة عظيمة من السماء، وان نصرف كل جهدنا اليه، ونقف كل افكارنا عليه.»

تصور يا عزيز، كم هو مضحك، كم هو مؤلم ان يستدير راس انسان، ويأخذ شكل فرنك ! !

أجل ! ما زالت حياتنا كما تعرف : حرباً على عدة جبهات : نضال ضار في سبيل الاحتفاظ بقليل – بتذكار – من القيم الفكرية الحبيبة، والسعي وراء الارتزاق لصون الكرامة من حاجة اجلاف الزمان، والعمل للعودة في حال ترضي الاهل والاوطان .. عبثاً يا صديقي: ان كل مال الأرض لا يضاهي اثراً ادبياً رائعاً. إننا لا نستطيع حتى ولو أردنا ان نطرح هذا الاعتقاد جانباً بسهولة ! هذا اذا استطاع إكراه ما، ان يضطر احدنا الى التفريط به ! ان ضرورات العيش العاتية وتصرفات الأقدار الهوجاء تفرضان في كثير من الاحيان سبيل الانسان التي لا معدى له عنها ! ! »

لقد رسم هذا الصديق بهذه الجمل القليلة الحالة الروحية التي يعانيها كل اديب تضطره ظروف حياته المادية، واسباب عيشه الضيقة الى الهجرة.

وفي لبنان، غطست فور وصولي في بحار من الحيرة الهائلة التي تتخبط فيها حياة الناس، وخاصة حياة العائد حديثاً من هجرة طويلة مخفقة.

لجأت الى الصحافة – واظنك فهمت ! –، واصبحت حياتي رتيبة مملة، وأيامي كورق (الروزنامة) معروفة بالارقام، كلما انقضى منها يوم تسلخ ورقة تلقيها في سلة المهملات.

وصار يحلو لي في جو هذه العوامل النفسية المؤلمة الرجوع الى ايامي المهجرية واستعادة ذكرياتها الحلوة مع الاصدقاء فأجدها عملا وأدبا ولهواً ولعباً وغدواً ورواحاً .. الى ما لا نهاية، وافرك عيني كأني في حلم، ثم اعي، فأجد نفسي في لبنان!

وصرت اذا اردت الترفية عن نفسي ارجع الى هاتيك الايام القصية، وذكرياتها المكتوبة في دفاتري وفي كل ورقة ومفكرة كانت معي في افريقيا وفرنسا، فانتعش، وأحس بحاجة الى القلم !

وذات يوم وردتني الرسالة التالية من اندريه، وفيها من عذوبة الروح ورهافة الحس ما ترى :

« عزيزي .. أظن انك تلومني كثيراً، انا الشاعرة الليونية التي اظهرت نحوها كثيراً من العطف والاهتمام. اغفر لي سكوتي الطويل جداً الذي سأشرح لك اسبابه :

تسلمت في يوم جميل طرداً بريدياً غالياً من لبنان. غالياً لانه أعاد لي ذكريات الصديق البعيد الذي احفظ له احسن الذكريات! وأيضاً، لانني وجدت فيه مجلة « الاديب » الراقية، وكنت سعيدة جداً بقراءتها واطلعت فيها على مقالك فيها عن ليون وعني بواسطة صديقي وصديقك نمر الذي ما ان اطلع عليها حتى استأثر بها واعداً انه سيقدم لي الترجمة المكتوبة. ثم انتقلت المجلة من يده الى ايدي الطلبة الشرقيين في الجامعة الذين اخذوا بدورهم يتناقلونها، وطبيعي ان مجلة من هذا النوع الرفيع تصل الى وسط جامعي شرقي راقي لن تعود لصاحبها او لصاحبتها ...

فانا الآن مضطرة ان اثقل عليك واطلب نسخة ثانية منها لاترجم المقال الذي يخصني فيها مع بعض المنتخبات الى لغتنا،

---

[1] هو الاستاذ حسين خشن، المهاجر في دكار، وحامل لواء القصة الوصفية ذات الطابع الانساني بين «إخوان الأدب العربي في افريقيا»

ليطلع اعضاء صالون الشعراء على ادبكم الشرقي الجميل ، وعلى ما تكتبون عنا .

كم انا مدينة لك يا صديقي بهذا الكرم الادبي على ما اوليتني من ثناء لا استحقه ، وبنقل اسمي وجمالي وادبي الى لبنانكم الجميل الخالد الذي خصه سليمان باعذب « اناشيده » فما ادري بأي الفاظ الشكر اقضي بعض حقك علي !

إن كثيراً من قصائدي قد لحنها احد الملحنين في ليون ، وغناها احد مشاهير الفنانين في اوبرا ليون .

اشكرك بالنيابة عن صالون الشعراء الذي كنت سفيره الأديب الى الشرق . واتمنى ان تصلني اخبارك الطيبة مرة ثانية ، وان لا تنقطع صلتك بنا ، وبي على الخصوص ، أنا ، زميلتك المحظوظة: اندريه جيروآبل »

هناك اشياء كثيرة سارة للرجل ، ولكنه لا يوجد مسرة تعادل المسرة التي يشعر بها في مخاطبة المرأة ، وخاصة اذا كانت المخاطبة مثل صاحبة « باب الأحلام » !

فلقد انتشلتني هذه الرسالة من لحظتي الآزمة ، وأعاشتني في جو الذكريات الروحية التي عشتها على ضفاف الرون والسين مدة قصيرة. فلئن كان لي ان أغبط احداً ممن رأيت من السعداء في الدنيا ، فلن اغبط الأثرياء أصحاب الملايين في المهجر والوطن ، وإنما اغبط اولئك الشباب الرقيقي الحال في الحي اللاتيني وفي جامعة ليون الذين يروحون ويغدون متأبطين حقائبهم المدرسية، واضابيرهم المزدحمة بانتاج عقولهم وقلوبهم، يتخطرون بين قاعات الدرس والمقاهي والمنتديات بصحبة الرفيقات الحبيبات العطرات!

أنا اعتقد ان الانسان المرهف الحس ، يعيش بالحب والروح اكثر مما يعيش بالطعام والشراب !

وأنا اعتقد ان هذا الجو الخانق الذي اعانيه ناتج عن انعدام الروح الملائمة ! فبالرغم من انه يوجد في لبنان اوساط عالية الرقي والتهذيب ، وتتمتع بعقلية جد عصرية متحررة فانها بالنسبة الى المحيط الكبير المتحجر الذي يحيق بها قليلة لا تكاد تظهر ، ولا تكاد تبين ..

تقول لي ـ مثلا ـ حسبك ان بلادك جميلة .. اي انها تمتاز بمناخ طيب ، ومناظر طبيعية خلابة . نعم هذا صحيح .. ولكن الانسان ليس شجرة ولا صخراً ، ولا منظراً من مناظر الطبيعة .. انه عقل وذوق وروح ، ومتى كانت هذه « الجوهريات » معدومة ، او ضعيفة فيه ضعفاً يجعلها كالمعدومة، فبماذا يسر ويأنس ؟ البلاد الجميلة حقاً ، هي البلاد التي تتمتع

عن الشاعرة الفرنسية اندريه جيروآبيل صاحبة «باب الاحلام» تحية من « اسرة الجبل الملهم » الى اخوانهم اعضاء صالون الشعراء في ليون

•

## الى صديق راحل

حينما كنا بعمر الورد ... في فجر الشباب
كم عشقنا الشعر والانشاد في صمت الغياب
وذهبنا في رؤى منداحة ... عبر الضباب
حيثما الافق صفاء وارتعاشات سراب

طوى الامس ومنه في دمي طيب التهاب
يوقظ المدفون من ذكراك في القلب المذاب
فاذا في مسمعي صوتك ترجيع الرباب
واغاريد من البوح وهمسات العتاب

ايها الراحل في الاصباح عن دنيا العذاب
بين رعشات دموع ... وعويل ... وانتحاب
كل حزن فيك ... في ذكرى لياليك العذاب
دون حزني ... دون نيران دموعي واكتئابي
فانا ان دفنوا وجهك في صمت التراب
دفنوا ازهار آمالي وبعضاً من شبابي

## كلمات

شاعر الحب لا تبح باسم من تهوى، بسكرى الايات من اشعارك
واحذر البوح ان يدغدغ حسا خجل اللون من لظى قيثارك
واذا جن في فؤادك فاهمسه باذن الانسام من اسحارك
صف جمال الحبيب في شعرك الوافي وشعراً سقيته من نضارك
وفماً غام باللذاذة والوجد فغشى بالنار لون اوارك
وغيوماً ان شاب تخفي سنى الشمس وتطوي البسمات من انوارك
وتغزل بنور عينيه في لحن بعيد الاصداء من اوتارك
بشحوب كالورس فوق جبين شاعري مسحته باصفرارك
واكتم الاسم في ضلوعك في القلب وراء الوراء من اسرارك

من اسرة الجبل الملهم — فؤاد الخشن

باروا ح اهلها اكثر مما تتمتع بطيب مناخها ، وعذوبة مياهها ، وجمال مناظرها ، وشدو طيورها .

من اجل ذلك ، فكلما هزني الشوق ، الى الحياة الفاعلة الخالقة ، اتذكر ايام فرنسا وأحن ! اتذكر ان المرأة هناك « جسد وروح » ، وانها عندنا جسد نشتريه و نقتنيه كما نشتري اللباس والاثاث ! المرأة عندنا مقصية عن المجتمع ، وهذا معناه ان فراغاً موحشاً يحسه كل منا في نفسه .

***

عفا الله عن اللحظة التي توحي للانسان افكاراً صحيحة حارة يكتوي بنارها بلذة وحماسة ثم تنقضي كأنها لم تكن شيئاً .

اذن، ليس لي الا ان احرص على علاقاتي مع الاصدقاء الذين يبادلونني روحاً بروح وراء البحار، فاراسلهم ويراسلونني. وهذا – فعلا – ما حرصت عليه منذ استقر بي المقام في لبنان ، ومنذ اصبحت حياتي رتيبة بهذا الشكل الممل وراء مكتب الجريدة .

ما أفرح قلبي ساعة يعود الغلام من البوسطة وفي يده رسالة لي من صديق او صديقة وراء البحار .

عاد الغلام مرة منذ ايام قليلة ، ومعه رسالة من ليون ، من صديقي وصديق اندريه يقول فيها :

« عزيزي، الساعة ما يقارب العاشرة مساء ، وشارع جان جوريس هادىء تحت وطأة موجة البرد القارسة ، فالعشاق في ماويهم ، وفي داخل الابواب ، وفي الغرف الدافئة ، وليس على شاطىء الرون كما تعهد .

وانا في سريري ، وامام مصباحي، وداخل برجي ! لا تقل العاجي ! لأنه من ورق ، وكتب ، وصحف، ومجلات،وما اشبه !

انا في سريري ، وقد لجأت إليه منذ الثامنة بعد تعب النهار، لأقرأ وافكر واكتب... وما اكثر ما اقرأ وافكر واكتب! افكر بحياتي الحاضرة، هذه الحياة الزاخرة بفنون العلم والادب والفن.. بفنون المعرفة والبحث والتحصيل .. بفنون التعارف وتغذية الفكر والقلب معاً .. بفنون الأمل العارم والاخيلة والاحلام الجميلة ، والصور التي تبدعها قوة الشباب وفتوة الحياة وزهرة العمر !

اكتب بعض الرسائل ، وفي اوقات هدوئي وتشوقي بعض فصول «اللحن الشرقي» هذا اللحن الذي اترك في كل فقرة من فقراته ، وفي كل مقطع من مقاطعه شيئاً من نفسي وقلبي وفكري. اكتب فصول هذا اللحن وانا تحت تأثير موسيقى اسمعها ولا اسمعها .. وانغام تهز كياني وتبعدني ! واكتب حتى عن نفسي ما وسعتني الكتابة في علم النفس والتربية وفي القوانين المدنية ، والجزائية. واعد محاضرة في نادي الـ Lamartiniens وعنوانها: «المرأة الشرقية والاسلام».واقرأ كل شيء .

وافكر ايضاً بوزارة المعارف اللبنانية ، وما تقدمه هذه الوزارة من مفاجآت سارة وغير سارة ! افكر بشأني معها وانا الذي اذيب نفسي في خدمتها.. اذيب ما تبقى من نفسي بعد عشر سنوات في حقل التربية الوطنية في لبنان، هذا الحقل الصخري الجاف الذي لا يخرج عنه من يدخل اليه الا ولسان حاله يقول: « يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » !

نعم يا صديقي ، اني افكر حتى يلتهب دماغي ، وانام اشبه بالمحموم . وفي الصباح استقبل يومي بما فيه من صنوف العذاب والسرور، هذا السرور العميق الساذج، سرور الطالب الجامعي بما في حياته من بساطة وقلة اكتراث بالمادة وما اليها ، ولواعج الطالب ذي المسؤولية البعيد عن اهله ووطنه . فمن كوة الغرب اليوم اطل على الشرق موطن السحر والنور ، ومسرح الف ليلة وليلة ، ومربع شهرزاد .. اطل على هذا الشرق الحالم باحلامه، المستغرق في سباته واتساءل: من المسؤول ؟ المجتمع ؟ ام السياسة ؟ ام طبيعة الشرق نفسها ؟! واخرج بنتيجة واحدة دائماً لغز مغلق !!

لم اقرأ حتى الآن شيئاً من « اللحن الشرقي» لاندريه لعدم تمكني من زيارتها في هذه الايام وقد بعثت لي تحريرك البديع لها مع السيد لوفيتال .. فوضعه هذا في صندوق ( معلمتي ) المدموزيل بريه .. وكان مرفقاً بكلمة عتاب من اندريه لانقطاعي عن زيارتها مدة طويلة والتحدث عنك .. ولكني غداً ( الخميس ) بعد الظهر سأوافيها الى صديقة ( البارك دي شارترس ) . وقد اعطيتها وعداً بذلك . أتمناك معنا ..! »

ما تزال سوانح تلك الزيارة العابرة لليون تعاود خاطري من وقت لآخر رغم انصراف عام وبعض العام عليها فتحرك من كوامن وجدي اعزها واحلاها ، وتبعث في مشاعري إحساسات ساعرة تهطل على الورق كلمات حارة لاذة تروي ظمأ القلب !! منذا الذي يقول ان « الذكريات » لا تبعث القلوب الميتة ؟ القلوب – ايضاً – كالحديد ، يغشاها الصدا ، فينبغي ان نجلوها بأمتع الذكريات ..!

**محمد يوسف مقلد**

# شرود

●

هاتِ من عينيكَ هاتْ
فقد أضعت الحياة
انفاسك الحرّى
تسابيح الآه مات

ضُمّ رأسي لصدرك
نامت على شفاهي الصلاة
لن ارتوي عبقاً وشذا
فاعصر الخمر
وهات الثغر هاتْ

لم تكن قبل الامس
وانت غدٌ، من الامس
نحن هنا كلانا
لا تقل انت انا
فلا يبقى لنا
انت و انا

فاشدد يديك
اخاف عليك
مني انا

**البير أديب**




## رفيف الاقحوان

للدكتور نقولا فياض ـ مجموعة شعرية ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت

ما سكبت الجديد صرفا بكاسي لا ولا ذبت في القديم احتراقا
انما وحشة الحياة تمادت بي فصاحبت هذه الاوراقا
شاعر لم ير الشباب سوى حلم فلما مضى الشباب .. افاقا

نعم افاق وطبع ديواناً سماه « رفيف الاقحوان» وعلم ابا عبد الله « الاخطل الصغير » كيف يرجع الشيخ الى صباه ..

في رفيف الاقحوان هذا صفحات تجلو نهضة ، وتؤرخ شاعرية وتشير الى ظاهرة عجيبة عند الطبيب الشاعر الا وهي مواصلة الانتاج ، والحفاظ على درجة حرارته بالرغم من ان عمر الدكتور قد اربى على الثمانين ...

لهف نفس بشارة ! اي دواء استعمله هذا الدكتور فساعده على هذا العطاء المستمر ؟ الا يدله عليه او يسقيه منه جرعة ؟ ان نفس الادب العربي تتقطع حسرات من اجل سماع قصيدة واحدة جديدة للاخطل تذكر «بالمسلول» او تنتسب الى «عمر ونعم » وكل الشباب العرب يأكل قلبهم الحنين الى جديد من بشارة الخوري او الى رؤية شعره مطبوعاً في ديوان على الاقل كما فعل طبيبنا الجليل . ماذا اقول هل انتهى ابو عبد الله ؟ ام انه يخشى شيئاً . لا اعلم وانا اتحدث عن الدكتور نقولا فياض وديوانه رفيف الاقحوان فما دخل الاخطل ؟

ذلك اني رأيت الدكتور نقولا يهجم على رفيقه الاخطل الصغير في الآونة الاخيرة وينتزع زمام المبادرة من يديه فيصبح هو شاعر المواسم العربية ينفعل مع بيئته وينظم احاسيس مجتمعه في عهد لبنان الجديد فيهتف في « الجلاء » ويغني في « تشرين» ويصرخ في « مهرجان الكتائب » ويثور في احتفالات النجادة

ايه يا شمر ان يومك جاء فاشتملها ارضا وطفها سماء
كم بعثناك في النفوس لهيبا واردناك في العقول ضياء
وحبسناك ان تضيع بخوراً وابيناك ان تذوب بكاء
ولهذا اليوم ادخرناك حتى تملأ الخافقين منك سناء

ما قرأت قصيدة لهذا الشاعر الدكتور الا وتخيلت وراءها فياضاً الخطيب الملتهب ذا النبرة المشتعلة قوة وايماناً ينفخ في قومه الجرأة ويصعد بهم في مدارج الحرية . ويروضهم على الحب ويدعو الى الوحدة الوطنية ، يحارب فساد الاخلاق ويهدم عمارات التقاليد ، ينزع من النفوس احقاد التاريخ وضغائن الرجعية فيغرس بدلا منها الخير والجمال والعز والمحبة ثم يتوجه الى شباب بلاده يرسم لهم سبيل المجد ويبني اسس المعالي.

يستنهض الجيل الجديد لينتضي من عزمه الوثاب ما لم يحلم
عجبا انحيا في بلاد حرة ويكون هذا العصر عصر تقدم
ويظل مشغوفا بحمل سلاحه متملم يهوي على متعلم ؟
الطائفية يا لها من نكبة صبت على الفردوس نار جهنم
حاربتها دهرا بشق يراعتي وصبغت اعداد المنابر من دمي
وصفعت خديها ولم اظفر بما يشفي غليل الشاعر المتألم
قتلوا الكفاءة باسمها ومشوا على جثث من الاخلاق..يا رب ارحم
الدين نعم الدين ان يك داعيا للحب يروي من حياه الظمي
الدين تضحية وروح تسامح . . . . . . . . . . . . . .
الدين ليس بآلة للكسب في يد خادم للدين او متزعم

***

اشباب لبنان وحسبي منكم نفس محررة وعزم فائر
يوم الجلاء مقدس لكنما يوم الجلاء بداية لا آخر
وامامكم شوط بعيد قبل ان يعلى البناء ويطمئن العامر
ارث من الماضي البعيد مجمع في كل عضو منه سوس ناخر
مشت السياسة في حواشيه كما يمشي على البلد الامين الغادر
فمؤامرات تشترى في سوقها وتباع بالسلع العجاف ضمائر
ونفوذ دين او نفوذ زعامة الحكم بينهما ضعيف حائر
والعلم والادب الرفيع مسخر للمال وهو بما يسخر ساخر
واشد من هذا وذا حزبية في كل منطقة عليها ساهر
يرعى دسائسها فان هي اخفقت فمسدسات خلفها وخناجر
هاتوا المعاول يا شباب وهدموا . . . . . . . . . . . . .
حتى نرى للظلمتين تصدعا الجهل والفقر المرير الجائر
حتى تقال الضاد من عثراتها فلقد كفى يا ضاد حظ عاثر
لا تتركوا للبغض منكم مأخذاً البغض في الانسان وحش كاسر

بخ لك يا عمي نقولا بخ ! وانفقأت عيون المبغضين مار نقولا يحرسك أأنت القائل :

وخفوق القلب داء مزعج حير الناس فقالوا عصبي

لله انت يوم وقفت على قبر اخيك الشاعر الياس فياض وقلت من قصيدة :

فتبيت تسألني و نبضك هارب من انملي هل في شفائك مطمع
وارى دبيب الموت فيك فانحني متبسما وحشاشتي تتقطع

سلامة حشاشتك ان هذا يا سيدي شعر رفيع ولن يقدر احد على الوقوف في وجهي ليقول لي انني مبالغ . بل انا اقول الحقيقة والحقيقة انه يجب ان لا يقاس شعر الدكتور فياض بما يقاس به شعر سعيد عقل مثلا بل يجب ان ينظر الى شعر الدكتور من خلال تلك الظلمة ، ظلمة عصور الانحطاط تلك التي ظلت تغمر الشرق العربي حتى اوائل هذا القرن ، وكان الدكتور في طليعة الذين مزقوا الحجب عنها وكان شعره موكب تجديد وانبعاث نهضة في ذلك الحين . انه اول من قصد في شعره الى التساهل في الجمع بين الاوزان المتقاربة وفي القافية . وتوسع في استعمال الالفاظ على غير معناها المفهوم فخرج عن المألوف واشرق على آفاق كانت شبه مجهولة في ادب العرب :

يا ليل يا ليل كم ناداك من طرب صوت المغني فما حركت اوتارا
وعناق السماء في زرقة البحر وفي حضرة الشعاع النامي
واختلاج الفضاء والليل يمشي حافيا في السهول والآكام
ورماد الضياء يذريه فوقي قمر ساهر على احلامي

الفضاء المختلج والليل الماشي حافياً في السهول ثم الشعاع الاخضر النامي أليست كلها تعابير من [موضة] شعرائنا الشباب اليوم تندى طراوة وتقطر شاعرية ؟ يقول نزار قباني ارهف شاعر ندي متأنق عرفته بلاد العرب اخيراً :

يا شعرها على يدي شلال ضوء اسود
.. كانت كما يريدها بحار فيها الوجد
وكانت الاحراج تبكي والخليج يزبد
وفي صميمي غيمة تبكي وثلج اسود !

ويقول الدكتور فياض مخاطبا الليل :

| | |
|---|---|
| كلما اطلقت فكري فيك يجري | كنت كالخابط في امواج بحر |
| تحت عمق يتلوى مثل قيد | حول عنقي |
| كلما انعمت فيك النظر | لارى ما لا يرى |
| خلت اني بالغ تلك الحدود | والسدود خلف غابات الظنون |
| فاذا بي حاسر الطرف كليل | دمك الاسود في عيني يسيل !! |

الى ان يقول :

انني اسمع همسا واخال
ان لليل شفاها
تملأ الظلمة آها
واحاديث طوال

أرأيت الى الشعور الذي يوحيه هذا الارتقاء بالاشياء في سلم الكائنات الطبيعية وتصوير الجماد تدب فيه الحركة وتنشط الحياة ؟ قال الناقد هزلت « الشعر لغة الخيال والخيال هو تلك القوة التي تمثل الاشياء لا كما هي نفسها ولكن كما تكيفها افكار ومشاعر اخرى الى تنوعات من الهيئات وامتزاجات من القوى لا نهاية لها بحيث تنقل التأثير الذي يتركه في العقل الشيء الواقع تحت سيطرة الهوى »

على هذا الاساس بامكاننا ان نقول : ان الدكتور نقولا فياض رصف لنا « مدماكا » في عمارتنا الشعرية الحديثة وفقه الله وامد بعمره .

**احمد ابو سعد**
من اسرة الجبل الملهم

## خواطر بين السلوك والتصنيف

احب ان اعيش مع احد المؤلفين ، ولا سيما الذين اعرفهم واشهدهم ، والذين اجلس اليهم او اصادقهم . وقد اتمثل ادباء فيبدو لي عيانهم من بين اسطرهم وانا اتلوها . ولعل هذا يعود الى نزعة عندي انزعها في النقد وفي تسجيل خواطري في الادب والفنون ، وهي اني اوثر ان احيا وان احس بالحياة فيما اقول وفيما اكتب فصار من مذهبي في الادب الخروج من صندوق الملقن الى التمثيل على المسرح . فلقد قرأت كثيراً من طرائف النقاد وهواجس الكتاب دون ان اشعر بهم او ان اشاهد عيانهم .

قرأت طه حسين باشا فرحت منذ عرفته اتمثله فكاني احدثه او اصغي الى كلامه يقع في قرارة نفسي ، وسمعت الاستاذ العقاد وكلمته فصرت اذا قرأت له ما يكتب بدا لي بقوة الجبار ، ورن في اذني صوته النحاسي ، وطالما استمعت الى شعر صديقي امين بك نخله ينشدني اياه في ضفاف بردى او بقوة الحاج داود بيروت ، وقد امال طربوشه ودلى طرته وهفا برقراق انشاده على موج روحي ذائب ، فاذا تلوت اليوم شعره بدا لي في اهبته تلك كلها .

والاديب الذي كتبت اليوم من اجله هذه الخواطر يسرني ان اجلوه لقرائي بصمته الهادىء وادبه الجم وخبرته ، وهو الاستاذ « روحي جميل » من الادباء السوريين المحدثين . فلقد

* آداب السلوك كتاب جديد للاديب السوري الاستاذ روحي جميل إصدار دار الاحد ببيروت ، واصول التصنيف رسالة للمؤلف نفسه نشر المكتبة العمومية ، بدمشق .

اخرج للناس بالأمس كتابه الذي سماه « آداب السلوك »
لحق ان يكون كتابه مرآة نفسه . فانا منذ عرفته كنت اقول ما آدب هذا الشاب ، حتى اذا تفضل باهدائه الي كتابه في آداب السلوك ، اخذت ابتسم فارجع الى ما كنت توسمته فيه من المخايل . عرض كتابه بطريقة علمية في تقسيم ابوابه وسرد بحوثه، وخلع عليه من طلاوة الادب التنسيق والعبارة . ولست ادري كيف وفق الى جعل المحادثة صدراً من صدور الآداب التي ينبغي على المرء سلوكها في الحياة . كان يمر بخاطري حين قرأت فصله هذا في التحادث والحديث كلام كان وقع في خلدي وكأنه نقش على حجر ، ذلك قول معاوية الذي اورده التوحيدي في كتابه عن الصداقة والصديق : « لقد عرفت النساء حتى مللت، واكلت





اطايب الطعام حتى كللت ، ولم اجد ابقى واحلى من المحادثة والحديث » . وحين فرغت من فصله هذا قلت ما احرانا ان نتعلم فن الحديث وهو الذي ينقصنا تمامه في الشرق . ثم تحدر المؤلف الى آداب الاسرة ، فاقام هذه الآداب الخلقية على المنزل وتربيته ونظامه ، وعلى الخطبة والزواج ثم ختم بحثه على الخدم . وهذا حسن منه . فلقد كان الكلام عليهم طرفة من طرفه إذ رعاهم — ومن حقهم ان يجدوا الرعاية من الجمهور والكتاب — وبين مزاياهم ومنازعهم الاجتماعية وسبل انتقائهم واتقائهم والرغبة فيهم والتحرز منهم .

ثم راح في باب كلامه على العلاقات الاجتماعية التي سماها المواصلات والرحلات يخط لنا كيف نمشي في الشارع وكيف نخفق على الدراجة او نركب السيارة . وما هو ادبنا اذا امتطينا القطار او علونا على الباخرة او نزلنا في الفنادق او رحلنا في سياحة . وكل ذلك كان التبصر فيه يفوت مجتمعنا . وقد عرفته الامم الغربية واخذت باساليبه ونظامه . واحلى ما حططت عنده وكدي وجعلت اتتبعه بشوق واعجاب كلام المؤلف على القواعد التي ينبغي اتباعها في المآكل والمآدب وهي امور خيرت بعض المؤثرين للانطلاق، فهو يشترط — حسب النظام المتبع في المأدبة المعاصرة — شروطاً للامساك بالسكين ، والاخذ بالملعقة، والشك بالشوكة ونشر المنشفة وصب الماء في الكأس، وادارة الابريق . ولو بعث اليوم استاذ علماء الشام الشيخ طاهر الجزائري عليه رحمة الله فقرأ هذا الفصل لضاق به ذرعاً ولما حضر مأدبة معاصرة . على اني اذهب الى شيء من الطلاقة في هذه الامور لاساغة الطعام والشراب ، فلقد كان اليونان والرومان يتناولون طعامهم وهم مضطجعون على صدورهم او مائلون على جنباتهم وعرف العرب الطعام قعوداً على الثرى . لكن لعصرنا انظمة ينبغي الاخذ بها . وما احسب كثيراً من الآخذين بذلك اذا خلوا في طعامهم الى انفسهم يقيدون ايديهم وافواههم بهذه القيود المحبوبة .

على ان فيما سردت من خاطري عن طرف من كتاب السلوك داعيا للقارىء الكريم ان يقف على ما في سائر هذا الكتاب الروحي الجميل الذي الفه الاستاذ « روحي جميل » .

اما التصنيف فليس تصنيف ذوي الوظائف ، وانما هو بحث احكامي نظامي بالمناهج والطرائق وضعه المؤلف في رسالة سماها « اصول التصنيف » وقفها على امور ما ارى داراً

تجارية ، ولا مصرفا مالياً ، ولا دائرة من دوائر الحكومة في غنى عن تعاليمها واحكامها . فهذه الرسالة تعلم بموضوعها وصورها كيف تصنف الكتب في المكتبات ، وكيف تكون دروج الفهارس والاضبارات ،وسبيل الترتيب في الخزانات وفي القيود والثبوت . وما يكون من شان المحاسبة وصناديقها، والمراسلات وطريقها ، والكتب والمجلات وحفظها وتنسيقها .

وحين فرغت من الوقوف على هذين الاثرين الغاليين اثنيت على جهد المؤلف الفاضل الذي اخرج من طبعه وروحه كتاباً في السلوك وآخر في التصنيف، وابان - وهو الحي الكريم - ان منهجه في الحياة السداد والتنظيم والارشاد والتقويم .

**القاهرة** **زكي المحاسني**

الملحق الثقافي بالمفوضية السورية بمصر

## ظهر حديثاً :

● ليلة مبعث النبي - ٦٢ صفحة ، قطع صغير ، وفي مولد امير المؤمنين علي بن ابي طالب ٥٨ صفحة،قطع صغير ، وهما للمصلح الاكبر الامام الخالصي ومن منشورات ديوان النشر والترجمة والتأليف لمدرسة الامام الخالصي في الكاظمية ، مطبعة المعارف بيغداد

● من منشورات سلسلة محاضرات نادي الطلبة والاساتذة العرب في بيروت « الشباب بين المثالية والواقع » للاستاذ واصف البارودي ١٨ صفحة و« الصراع بين الحضارة والتربية» للاستاذ رضا ديباجة ١٠ صفحات .

● في قلب الوثنية منشور بطريركي لغبطة البطريرك مكسيموس الرابع ٢٣ صفحة ، المطبعة البولسية ، حريصا لبنان

● البتول العذراء - لمحمد حسنين شمس الدين-٦٥صفحة ،قطع صغير، مع مقدمة للشيخ عبدالله العلايلي،مطبعة الانصاف بيروت

● اجنحة السلام - لكاظم السماوي ، قصيدة طويلة في ١١ صفحة ، مهداة الى الشعوب التي تريد الحياة الحرة الشريفة مطبعة الرابطة ببغداد

● الاسى الاخضر - ٣٠ صفحة - وبوارق - ٢٢ صفحة وهما لرياض الصباغ - مطبعة الشرق بحمص

● سالومي - لاوسكار وايلد - ترجمة سهيل ايوب ٧٦ صفحة ، قطع صغير ، مطبعة الترقي بدمشق

● قصة التجارة الدولية - تأليف فيليس دين ترجمة مصطفى عبدالله وعبد الرزاق الجزار ٧١ صفحة قطع صغير ، الجزء الاول من السلسلة الاقتصادية ، منشورات معهد بغداد التجاري مطبعة الرابطة ببغداد .

● ازهار شائكة - لابراهيم حقي محمد ، ٧٤ صفحة ، مجموعة رسائل متبادلة بين المرأة والرجل ، ذات اهداف اجتماعية ، منشورات اهل الكهف مطبعة المعارف ببغداد .

● Vox Orientis صوت الشرق - مجلة شهرية تبحث في الشؤون الثقافية والاقتصادية والعلمية ، صلة الوصل والتعارف بين الشرق والغرب صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور علي اصغر عزيزي تصدر عن : فينا عاصمة النمسا باللغات الالمانية والانجليزية والفرنسية فنتمنى لها الرواج والنجاح

● العلوم والفنون - مجلة شهرية تبحث في العلوم والفنون صاحبها ورئيس تحريرها المهندس الاستاذ عبد السلام الديوري تصور عن طنجة المغربية فنتمنى لها التوفيق والازدهار




## كلمة المغتربين في ذكرى الريحاني

☆

نشر فيما يلي الكلمة التي القاها باسم المغتربين الدكتور وليم نعمة في الحفلة التذكارية التي اقيمت بالجامعة الاميركية ببيروت لأمين الريحاني بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاته والتي سبق ونوهنا عنها في برقيات الأديب:

بين غفوة من الزمن وغفوة يظهر في سماء الوجود كوكب سيار متلألىء من فيض نور الآلهة ، يشق فيها مجرى بعيد الغور تنفلق عنه هاربة ظلمات الفانية فيبهر نوره الوهاج باصرة اعداء النور الذين ينعمون في عتمة قبور الغباوة ، ويملأون افواههم بتراب البطل والوهم، وينبه الغافلين الى الاستفاقة من غيبوبة المادة ، والانفلات من اقمطة التقاليد الموروثة الفاسدة .

وبين دورة ودورة من فصول الحياة ، وقد جف معين المعرفة ، ويبست مروج الفهم فغشاها عُلّيق الكفر والنفاق ، وطحلب اللامبالاة والرجعية، وقندول الهوادة والجزع، وغمرت اخاديدها حصى الارجاس والمذلة، وزلط الرذيلة يمر في الطريق الوعر عابر زارع حاملا باليد الواحدة المعول ، وباليد الثانية الرفش ، وفي كمه بذور الحكمة والمحبة. فينكش بمعوله طبقاتها ويكشفها لحرارة الشمس المجددة ، ولدغدغة نسمات الفجر المنعشة ، ويقلب برفشه الحجارة المعثرة ويزحزحها ليفتح العقل طريقاً سوياً ممهداً ، ثم تسقي بنات فكره الارض المقحلة من قارورات حملنها افرغ فيها طيب ثقافة الاجيال ، وتنثر بذور الاصلاح عبر الاثلام، وطي الجلول ـ ثم يتوارى العابر الزارع. فتقهقه الرعود رعود التعصب، وتئز الرياح رياح الانتقام، وتنهمر السيول سيول المقاومة ، والبزرة تختمر قابعة ، مطمئنة، هادئة، واذا لم تمت حبة الحنطة في الارض فلا تحيا ؟؟

هذا الزارع المصلح ، هذا العبقري الانور ، المعروف بما ترك من آثار ، كما تعرف باريجها لا باسمها الازهار ، هو امين الريحاني . هو مزيج كيماوي عجيب استحضره وادي الفريكة الساحر ، ونفخ فيه جبل الانبياء روح الالهام ، مفرغاً في عروقه ثقافة الآلاف من الاعوام ، وصاغته يد الغرب الحاذقة تاجاً فريداً لتزين به من الشرق الهام ! قال كلمته ومشى . ومشت كلمته وسوف تمشي مع القرون .

قد خدش حسك المقاومة انامله الناعمة ، وادمى عوسج الشوك وسوء الظن حقويه العاريتين ، ودنق من صقيع التحامل جسمه النحيف. لكنه لم يجبه ولم يعبأ ، بل قام بدعوة رسالته، ومشى على رماد الضلال صاخباً ناصحاً ، هازئاً ضاحكا ، غير هياب ، ولا مرتاب .

سمعت الريحاني لاول مرة يلقي خطبته الاولى من على منبر الجامعة سنة ١٩١٢ . ولا يزال عالقاً بالذاكرة من رسالة بعثت بها الى المقطم ونشرها قوله : ـ « القناعة كنز لا يفنى، ولكنه لا يعمر البلاد» . «ان للاديان مخرجاً مشتركاً واحداً هو المحبة» .

سأل جبران : ـ هل بينكم من يتجرأ ان يقول : « اذا ما مت تركت وطني افضل قليلا عما وجدته عندما ولدت ، لقد كانت حياتي قطرة من الدم في عروقه ، ودمعة بين اجفانه ، وابتسامة في ثغره . »

اجل ! يجرؤ ان يقول هذا امين الريحاني . فقد كان لامته نجم المجوس ، نجم الملاحين القطبي ، وكان للمغتربين عمود النار يدلهم الى الحق، الى الصواب ؛ ويهديهم الى جبل الالهام والاشعاع الى وطنهم لبنان كما اراده . كان عند عامتهم المصلح الثوروي ، في لغة شكسبير ، ولكلهم مفخرة ينافسون بها الاجنبي وهو يتنكر لهم ، ويزدري بهم .

ان الرجال في عمار البشرية زوايا هندستها يد اللانهاية . تقاس بما اتوه من اعمال : فهذه زاوية حادة ، وهاته زاوية منفرجة ، وتلك زاوية قائمة .

وكلهم شموع يتعالى ويتألف ضوؤها على قدر طول جسمها وفتائلها . فشمعة تذوب عند الغسق ، واخرى قرب منتصف الليل ، واخرى قبل صياح الديك !

وعمرهم يعادل عمر تراثهم الاشعاعي . فهذا تكتب له العقود من السنين ويخبو ، وذاك القرون ويخمد، وذلك الابد ويخلد!

ان عيون عباقرتنا تسهر على هذا الوطن ، واشعاع تراثهم يبعث في الابناء والاحفاد ، المضي في الجهاد ، في سبيل الحق والاصلاح والارشاد ، فينير افهامهم واقلامهم ليكملوا كتابة سفر نهضتنا وقوميتنا ؛ وان روحهم الصالحة ترفرق في جونا للابد ، وتتناسخ في الذين يأخذون بتعاليمهم ويعملون اعمالهم . ود وغبط الامين العز في الممات. فكان له ما اراد وفوق ما اراد

**وليم نعمة**

## رسائل جبران خليل جبران الى جميل المعلوف

نشر فيما يلي الرسالتين الثانية والثالثة من جبران خليل جبران الى جميل معلوف فقد حال ضيق المجال دون نشرهما في العدد الماضي :

الرسالة الثانية بتاريخ ٢ تشرين الثاني [ نوفمبر ] ١٩٠٦ :

**انت** الآن في الجهة الثانية من مسير الشمس وانا ما برحت ههنا افتكر بك. قدصرت بعيداً .ولكن هذه المسافة الشاسعة لا تفصل بيننا لان للنفوس الكبيرة هالات تشبه الدوائر التي تحدثها الحصى على وجه البحيرة الهادئة

... الايام عندنا ايام خريف . فالاشجار تضطرب ذارفة بقايا دموعها على الاعشاب اليابسة . وفي الهواء تتموج انفاس الشتاء . وبعد ايام قليلة تكتسي الحقول والمروج برداء الثلج والايام عندكم ايام ربيع فالحياة تستيقظ ، وتسير مترنمة بفرح وغبطة . فهل نقلت الربيع عندما رحلت ، ام هي الطبيعة تلاقي الجميل بالجميل اينما حل وكيفما سار

انا مثل عادتي مشغول بالكتابة والتأليف والتصوير. تارة في الفضاء وراء الغيوم المذهبة باشعة الشمس ، وطوراً في اعماق البحر حيث اللجة تنادي اللجة. وآناً في الاودية المظلمة حيث الخيالات المخيفة . وآونة على رؤوس الجبال بين اشجار السرو مصغياً الى انغام الصدى ولا ادري ماذا يحل بي غداً . وهذا الفكر يؤلم نفسي، لاني لا اعرف اذا كنت قادراً على ايجاد شيء حري بالكيان . ولكن على ان اجد الى الغد فالغد يحكم علي ويكون حكمه عادلا . ولكنني اريد ان اسمع الحكم قبل الذهاب

المحبة يا خليلي هي مرآة المحبة. والميل هو حدس الميل - المحبة الحقيقية لا تسكن قلباً واحداً بل قلبين - وهذا الفكر يذكرني باحاديثنا عن الشعلة التي يفصلها الله عن ذاته ويقسمها الى نصفين رجل وامرأة

... قد تمنيت في كتابك الاخير لو لم يكن لك قلب يحب ونفس تعشق - انا لا اتمنى ذلك يا عزيزي . بل افضل ان اموت حباً وافنى شوقاً . من ان اكون بعيداً عن الحب والشوق

اريد ان اكون طعاماً للنار المقدسة من ان اكون محاطاً بثلوج الاستكفاء وعندي ان اعظم لذة في هذه الحياة هي الشعور بمجاعة النفس وعطش القلب. النفس التي لا تجوع لا تسبح في فضاء الاحلام والقلب الذي لا يعطش ، لا يرفرف حول مناهل الجمال فابق اذن على ما انت عليه ولا تتمن الخلود ففي الخلود ملل يميت.

وهذه الرسالة الثالثة . بتاريخ ٢٣ نيسان [ابريل] ١٩١٢

**كيف** انت يا قمر وكيف حالك ؟ هل انت مسرور في باريس متمتع بجمالها وجلالها . منصرف الى استقصاء خفاياها واستفسار اسرارها ومزاياها ؟ . باريس - باريس - باريس مسرح الفنون والفكر ومهبط الخيال والاحلام - في باريس قد ولدت ثانية وفيها اود ان اصرف ما بقي لي من العمر - ولكني ارجو ان يكون قبري في لبنان - فاذا اسعدني القضاء ، وحقق بعض الاحلام المرفرفة الآن فوق رأسي ، ساعود الى باريس واطعم قلبي الجائع واسقي روحي الظمآنة فنشترك بالتهام خبزها العلوي . ونشرب خمرتها السحرية

اما حياتي في نيويورك فشبيهة بدولاب تحركه ايد خفية ليلا ونهاراً . اشغالي كثيرة واحلامي عظيمة ومطامعي هائلة مخيفة تتصاعد الى اعالي السماء ثم تهبط بنفسي الى اعماق الجحيم. ان الذين يقفون في قدس اقداس الحياة هم الذين يعرفون ماهية السعادة الكمالية. والشقاء والمطلق ، هم وحدهم يتجرعون الموت في كأس الحياة . والحياة في كاس الموت . وانا واحد منهم .

## مجلة الاديب

تلطف الاديب المعروف الاستاذ عبدالله عريف صاحب جريدة البلاد السعودية ورئيس تحريرها بكتابة هذه الكلمة الطيبة عن الاديب في العدد ٩٩٨ من جريدته الغراء ، ننقلها الى القراء شاكرين للاستاذ الفاضل باسمنا واسم الاديب وقرائها عاطفته النبيلة التي غمرنا بها:

**ما** زلت اقرأ - مع الاسف والاسى - ما تلقاه مجلة «الاديب» البيروتية ، من عنت مادي يكاد يحول بينها وبين الصدور. ومجلة «الاديب» ... هي المجلة العربية الاولى للادب العالمي ، والابحاث المركزة ، والفنون الرفيعة لا تضارعها - بل ولا تقاربها - في ذلك اي مجلة عربية في اي قطر عربي . ان العالم العربي عندما يفقد هذه المجلة سيفقد ثروة هائلة لانه سيفقد جامعة ادبية عالية ذات أثر واضح في الثقافة العربية .

انها مجلة الفكر المثقف ؟ ولكن خطأها - في حساب البسطاء وقراء الادب الرخيص أنها لا تنشر الاسلوب الركيك والفكرة السطحية، ولا تفسح للفجور، والدعارة، والاستهتار بالدين والخلق ومقومات الشعوب سبيلا الى صفحاتها . وخطأها الآخر في حساب الماديين انها لا تعترف بالواقع المادي اعني الواقع المالي في الحياة...[الى ان يقول]: وانا لا اعرف صاحب مجلة الاديب شخصيا وان كنت اعرفه عقليا وفكريا ولكني ارى في اخطائه المزعومة دليلا واي دليل على اصالته الفكرية والثقافية وان في اخطائه المزعومة قوة لا بد للبلاد العربية منها، تكشف عن متانة الخلق والارتباط بالمبدأ الذي يفرضه الفكر المثقف على صاحبه. اني والله ولا احلف بهتانا اكتب هذه الكلمة على اثر قراءة « الاديب » دون اي اشارة من قارىء او صديق هنا او رسالة من صاحبها او المقيمين بمجلته هناك ولكنها وحي النفس المحبة الخائفة من احتجاب محبوبها . وبعد فاني انصح مخلصا كل اديب ومثقف في هذه البلاد الا يفوته الاطلاع على هذه المجلة الممتازة لانها ضرورة لازمة لكل مثقف واديب تغنيه عن مجموعات من الكتب والمجلات ولا تغنيه الكتب والمجلات عنها . ثقافة ممتازة في شتى العلوم القديمة والحديثة ثم شعر قيم ممتاز مع قصص رائعة وتقديم لمنتوجات الفكر الشرقي والغربي كل ذلك في امانة واخلاص .




٢٢ ـ مارس ١٩٥١ ـ صرح روبير شومان وزير الخارجية الفرنسية بان امريكا وبريطانيا وفرنسا ستعقد مؤتمراً ثلاثيا قريبا للتباحث في تدابير الدفاع عن البحر المتوسط.

٢٣ ـ الف الدكتور ناظم القدسي الوزارة السورية الجديدة .

٢٤ ـ استقال الدكتور ناظم القدسي. وقدم السيد رشدي الكخيا استقالته من رئاسة المجلس النيابي .

٢٦ ـ اجتازت بعض القوات الكورية الجنوبية خط العرض ٣٨ بميلين

ـ اجتمعت ٢١ دولة امريكية في اجتماع مستعجل بواشنطن لتقوية الجهاز الدفاعي الاميركي وتنسيق الجهود في مختلف الحقول

٢٧ ـ الف السيد خالد العظم الوزارة

٢٨ـ وصل المسيو اوريول رئيس الجمهورية الفرنسية الى الولايات المتحدة في زيارة رسمية

ـ ما تزال ثلاثة اضرابات مستمرة في فرنسا

ـ احتلت قوات كوريا الجنوبية بلدة يانغ يانغ التي تبعد ٨ كيلومترات شمالي خط العرض.

٢٩ ـ عينت حكومة المانيا الغربية الجنرال فرنز كرايبه مستشاراً للطيران المدني وكلفته بتدريب الطيارين المدنيين . وقد تولى سابقا هذا المنصب في بداية العهد الهتلري ثم اصبح رئيسا لأركان حرب الطيران.

٣٠ ـ وافق مجلس الأمن على مشروع القرار الانجليزي الأميركي المتعلق بقضية كشمير مع امتناع يوغوسلافيا وروسيا ويقضي القرار بتعيين ممثلين عن هيئة الأمم لنزع الصبغة العسكرية عن كشمير قبل اجراء استفتاء عام فيها

اول ابريل ١٩٥١ ـ قدم السيد عبد الرؤوف خيال رئيس حزب الكتلة الوطنية في غزة مذكرة الى وزير الحربية المصرية لضم قطاع غزة الى مصر .

٢ ـ اعلن المستر شنويل وزير الدفاع البريطاني بان عدم تسوية القضية الكورية حينا مع وجود الجهود الحربي في كوريا قد يؤديان في المستقبل الى اصطدام مسلح على نطاق واسع.

ـ اعلن الجنرال دوايت ايزنهاور القائد الأعلى للقوات الحليفة في اوروبا انشاء مقره العام في باريس رسميا .

٣ ـ اقر مجلس الشيوخ الاميركي تعديلا يسمح للحكومة بارسال اربع فرق الى اوروبا دون استئذان مجلس الامة .

ـ رفعت لجنة الغربيين الثلاثة في المانيا عدداً من القيود الصناعية فسمحت بزيادة المانيا لانتاجها وهو في معظمه للصناعة الحربية .

٤ ـ صرح شري نهرو بانه ليس في الارض قوة ترغم الحكومة الهندية على سحب قواتها من كشمير والهند لن تتراجع والمهراجا لن يسترد عرشه ابداً .

ـ رفض المجلس النيابي العراقي جعل الانتخابات على درجة واحدة كما رفض منح المرأة حق الانتخاب .

٥ ـ وقع اشتباك بين الجيشين السوري واليهودي بالحمة سقط فيه ٧ قتلى وبعض الجرحى من اليهود وهاجمت ٨ طائرات يهودية الأراضي السورية والقت عليها القنابل.

ـ صرح المستر سام رايبون رئيس مجلس النواب الأميركي بان امريكا تجابه اليوم خطراً رهيبا قد يكون فاتحة لحرب عالمية ثالثة .

ـ اقر مجلس الشيوخ الأميركي تعديلا لضم اسبانيا والمانيا الغربية لجهاز الدفاع الاوروبي

٦ ـ عبرت القوات الدولية في الجبهة الوسطى الكورية خط العرض وتشتد مقاومة القوات الشمالية .

٧ ـ الغيت الأحكام العرفية في طهران وابقيت في مناطق البترول حيث قام العمال بتظاهرات وحوادث دامية .

٩ ـ بدأ مؤتمر وكلاء وزراء الخارجية الأربعة المعقود في باريس اعماله .

١٠ ـ اخذت امريكا وبريطانيا وفرنسا باقناع السوريين واليهود بسحب الشكوى من مجلس الأمن وايجاد تسوية محلية للقضية.

١١ ـ ابرق الرئيس ترومان الى الجنرال ماك ارثر امراً بعزله لأنه عجز عن التقيد بسياسة الحكومة وعين الجنرال ريجواي خلفا له وقائداً اعلى لقوات الامم المتحدة في كوريا وللقوات الأميركية في الشرق الأقصى .

دار الطباعة والنشر اللبنانية ـ بيروت
تليفون 98 - 35

ـ وصل الدكتور ايدناور مستشار الجمهورية الالمانية الى باريس ليتباحث مع الحكومة الفرنسية بما يهم الدولتين .

١٢ ـ خطب الرئيس ترومان بمناسبة عزل الجنرال ماك ارثر قائلا : اننا لا نريد توسيع نطاق الحرب الى الأراضي الصينية لأن ذلك يعني الحرب العامة الشاملة ونكرر رغبتنا في وقف القتال .

ـ توقفت القوات الدولية في كوريا عن التقدم في جميع القطاعات امام المقاومة الشمالية.

١٣ ـ قتل ثلاثة من البريطانيين وجرح ستة في المظاهرات التي قامت في منطقة عبادان البترولية في ايران وارسلت الحكومة الايرانية قواتها لمنع المظاهرات وأقامت حاكم المنطقة .

١٤ ـ توفي المستر ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية السابق الذي كان استقال من وزارة حزب العمال الحالية

١٥ ـ طلبت حكومة كوريا الشمالية من هيئة الأمم تسوية الخلاف الكوري بتطبيق قرار مجلس السلام العالمي الذي كان عقد في برلين.

١٦ ـ صرح رئيس الحكومة الايرانية حسين علاء الدين بان بريطانيا العظمى اذا أنزلت جيوشا في عبادان فلا يعتبر عملها عدوانا على استقلالنا فحسب ولكنه يكون خطأً فاضحا ايضا .

١٧ ـ نشر اتشيسون ناظر الخارجية الأميركية خبراً عن احتمال دمج وزارة الخارجية البريطانية بوزارة الخارجية الأميركية وجعلها مصلحة خارجية واحدة للبلدين

١٨ ـ توفي رئيس الجمهورية البرتغا الماريشال كارمونا عن ٨١ عاما

ـ وصل الى واشنطن الجنرال ماك أرثر

١٩ ـ وقعت فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وهولندا وبلجكا واللكسمبورغ معاهدة دمج موارد الفولاذ والفحم خمس سنة وهو مشروع شومان .

٢٠ ـ حذر نهرو رئيس الحكو الهندية الكتلة الغربية من مغبة عزل الص الشيوعية وعدم التفاهم معها .

٢١ ـ تقوم وزارة الخارجية الأميرك بمشاورات مع استراليا ونيوزيلاندا لانشا حلف للمحيط الهادي على غرار حلف الأطلنتي

٢٢ ـ اعلنت وزارة الدفاع الأميرك انها ارسلت بعثة عسكرية الى جزيرة فورموز لتتصل بحكومة شيان كاي شيك لمساعد عسكريا وتقوية الدفاع عن الجزيرة .